

الفصل الرابع
الإعجاز الغيبي
في القرآن الكريم
والسنة النبوية الصحيحة

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ

قَالَ تَعَالَى:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فُصِّلَتْ: ٥٣).

الإعجاز الغيبي

في زمن سادت فيه الأساطير والخرافات والجهل وعبادة الأصنام، وفي عصر كان الناس يقتتلون سنوات طويلة من أجل ناقة!! وفي عصر كانت الطفلة تُدفن حيّة في التراب ليس لها ذنب إلا أنها أنثى! وفي زمن كان الرجل يشتري إلهاً مصنوعاً من التمر، فإذا جاع أكله!! في هذه الظروف جاء نبي الرحمة ﷺ، وجاء معه النور والهدى والحق، لقد جاء ليغير العالم إلى يوم القيامة.

ولكن هذا النبي ﷺ لم يكن بشراً عادياً بل نبيّ مرسل ومؤيد من الله ﷻ الذي خلق هذا الكون وخلق كل شيء وهو أعلم بكل شيء، وشاء الله ﷻ لرسالة الإسلام أن تنتشر في العالم كله، وقد أيّده الله ﷻ بمعجزات غيبية عظيمة، فكان يخبر بأحداث ستقع بعد مئات السنين، في زمن لم يكن أحد يتوقع حدوث مثل هذه الأشياء.

بل إن النبي ﷺ في ذلك الزمن لم يكن متفرغاً لمثل هذه الأمور، فهو الذي يحمل همّ الأمة وهمّ الدعوة، ولديه مهام صعبة جداً في إقناع المشركين بتغيير عقيدتهم الفاسدة، فكانت المعجزة تسير مع نبينا محمد ﷺ في كل مكان.

فقد شقّ الله له القمر، ونصره على أعدائه، بل إن أعداء الإسلام انقلبوا إلى الإيوان وكانوا جنوداً أوفياء لنبيلهم وحبيلهم وقائدهم ﷺ. ولذلك لو فرضنا جدلاً أن هذا النبي ﷺ لم يكن صادقاً وكان يريد الشهرة والسلطان والمال، فلماذا يقحم نفسه في الحديث عن أشياء غيبية ستحدث بعد وفاته؟ بل ماذا سيستفيد من هذه الأحاديث لو لم يكن صادقاً؟ ولذلك فإن مثل هذه الأحاديث هي دليل ملموس في عصرنا هذا على صدق رسالة هذا النبي الخاتم ﷺ، وأنه نبي من عند الله تعالى.

إن الإعجاز الغيبي هو إخباره ﷺ بغيوب ماضية أو تحققت في حياته، وبعد وفاته ﷺ، فالغيب سر الله ﷻ، فهو وحده تبارك وتعالى الذي يعلم السر وأخفى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ

وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَاسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ (الأنعام: ٥٩).

والنبي ﷺ كسائر البشر لا يعلم الغيب؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا أَتَّيْعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ٥٠)، فإذا ما أخبر النبي عن شيء من الغيوب؛ فإنما يخبر بشيء من علم الله الذي خصه به وأطلعه عليه، ليكون برهان نبوته ودليل رسالته.

وقال بعض أهل العلم إن النبي ﷺ قد أخبر عن ما يقرب من ألف أمر غيبي، بعضها في القرآن، وبعضها في السنة، وكل منها دليل على نبوته ورسالته. والغيوب التي أخبر بها ﷺ على ضروب، فمنها ما تحقق حال حياته ﷺ، ومنها بعده، ومنها ما يكون قريباً من الساعة، وفي كل ذلك دلائل على نبوته ورسالته ﷺ.

أنواع الإعجاز الغيبي في القرآن والسنة:

١- غيب الماضي:

ويقصد به إنباء القرآن والسنة عن أخبار الماضين وقصص السابقين، كقصة آدم، وقصة نوح، وإبراهيم وغيرهم من الأنبياء ﷺ. وذكر تفصيلات تلك القصص يدل على أن القرآن كلام الله ﷻ وليس كلام رسوله محمد ﷺ، لأنه من المتفق عليه أن الرسول ﷺ أمي لا علم له بأخبار السابقين ولم يحضر هذه الحوادث، وأن الله ﷻ هو الذي يخبره بها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا زُنَابَ الْمُبِطِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٨). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذِيبَةَ لِلْمُنْظَرِينَ﴾ (هود: ٤٩). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (يوسف: ١٠٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمران: ٤٤). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (القصص: ٤٥). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْفِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (القصص: ٤٤).

وقد تخطى القرآن في إعجازه الإخبار المحض الذي أذن له أهل الكتاب، إلى بيان التحريف الذي وقع في التوراة والإنجيل، وتحدى أهل الكتاب أن يكذبوه إن استطاعوا.

ويدخل في الإعجاز الغيبي كل ما أخبر عنه القرآن الكريم والسنة من حوادث ماضية لم يشهدها النبي ﷺ، وكذا ما تحدث عنه القرآن منذ خلق الكون، وما وقع منذ خلق آدم عليه السلام، إلى مبعث رسول الله ﷺ.

٢- غيب الحاضر:

ويراد به إخبار القرآن والسنة عن عوالم الغيب الموجودة وقت نزوله.

ومن ذلك الكلام عن عوالم الغيب الموجودة والتي لم يرها الناس بأبصارهم ولم يتعاطوا معها بحواسهم، كالحديث عن أسماء الله وصفاته وأفعاله، وكالحديث عن الملائكة والجن ومشاهد الموت والاحتضار ... الخ

ومن الإخبار المعجز نعيه ﷺ لقادة مؤتة الثلاثة - وقد استشهدوا في الشام - وهو في المدينة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّأْيَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ». (رواه البخاري). فالذي أعلم النبي ﷺ بمقتلهم قبل أن يأتي خبرهم إلى الناس هو الله علام الغيوب سبحانه.

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره عن موت النجاشي في أرض الحبشة في يوم وفاته، مع بُعد ما بين أرض الحبشة والمدينة، فهذا خبر تحمله الركبان يومذاك في شهر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى لِلنَّاسِ النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ. (رواه البخاري ومسلم).

ومما أطلع الله نبيه ﷺ عليه من الغيوب التي لا يعرفها لولا إخبار الله له؛ خبر كتاب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الذي أرسله إلى قريش مع امرأة، يخبرهم فيه بعزم النبي ﷺ على غزو مكة.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثِدَ الْغَنَوِيِّ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، وَكُلُّنَا فَارِسٌ، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاحٍ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ» فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا، حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَا: «الْكِتَابُ»، فَقَالَتْ: «مَا مَعَنَا كِتَابٌ»، فَأَنْخَنَاهَا فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرِ كِتَابًا، فَقُلْنَا: «مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكَ»، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا، وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ، فَأَخْرَجَتْهُ. (رواه البخاري ومسلم).

ومن ذلك كشف أسرار ومكائد المنافقين الذين كانوا يكيدون في الخفاء للإسلام وأهله، وينسجون المؤامرات للقضاء عليه. ومع ذلك: كانت الآيات القرآنية تنزل بكشف عوارهم وإظهار ما يبتغون من النفاق والمكر، كالكشف عن حقيقة قصد المنافقين من مسجد الضرار، وتآمرهم على اغتيال النبي ﷺ في طريق عودته من تبوك.

٣- غيب المستقبل:

وهو إخبار النبي ﷺ بأمور تقع في المستقبل، فجاءت كما أخبر، لم تتخلف أو تتغير، وهذا ما لا سبيل للبشر إليه بحال، وقد أخبر رضي الله عنه عن كثير من الوقائع قبل وقوعها، وتمت كما ذكر، وبالكيفية التي وضحها. علماً بأن ما سيأتي حدوثه من الوقائع في مستقبل الأيام لا يعلمه - بلا شك - إلا الله عز وجل، وقد أعلن الرسول ﷺ أنه لا يعلم شيئاً من الغيب علماً ذاتياً، ولكنه يعلم الغيب الذي يعلمه الله إياه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٨). ومع هذه الحقيقة فقد ورد في القرآن الكريم آيات صريحة تتحدث عن أخبار مستقبلية.

وفي اشتغال القرآن الكريم والسنة النبوية على أخبار غيبية، وتصديق الوقائع لما جاء فيهما، ولو في جزئية بسيطة، لدليل على أنه وحى من خلق الأرض والسموات العلى، وأنزله على رسوله ﷺ ليكون دلالة على صدقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

نماذج من الإعجاز الغيبي في القرآن والسنة

إخبار القرآن بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين:

ومن إخباره ﷺ بالغيوب تنبؤه بهزيمة الفرس وغلب الروم، في وقت كادت دولة الفرس أن تزيل الإمبراطورية الرومانية من خارطة الدنيا، فقد وصلت جيوش كسرى أبرويز الثاني إلى وادي النيل، ودانت له أجزاء عظيمة من مملكة الرومان. سنواتٌ معدودة تمكّن فيها جيش الفرس من السيطرة على بلاد الشام وبعض مصر، واحتلت جيوشهم أنطاكية شمالاً، مما أذن بنهاية وشيكة للإمبراطورية الرومانية. وأمام هذا الطوفان الفارسي أراد هرقل ملك الروم أن يهرب من عاصمة ملكه القسطنطينية، وكاد أن يفعل لولا أن كبير أساقفة الروم أقنعه بالصمود وطلب الصلح الذليل من الفرس.

ووسط هذه الأحداث - وخلافاً لكل التوقعات - أعلن النبي ﷺ في أجواء مكة المتربصة به وبدعوته أن الروم سيتتصرون على الفرس في بضع سنين، أي فيما لا يزيد عن تسع سنين، فقد نزل عليه قول الله تعالى: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝٤ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٥ بَنَصَّرَ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٦ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٧﴾ (الروم: ٢ - ٦).

يقول المؤرخ إدوار جبن: «في ذلك الوقت، حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة، لم تكن أية نبوءة أبعدَ منها وقوعاً، لأن السنين العشر الأولى من حكومة هرقل كانت تُؤذِن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية»^(١).

لقد كان النبي ﷺ يتنبأ بانتصار المهزوم الذي يكاد يستسلم لخصمه، ويحدد موعداً دقيقاً لهذا النصر الذي ما من شيء أبعد في تحقيقه منه. وتناقلت قريش هذه النبوءة الغربية التي خالفت أهواءهم التي مالت إلى جانب الفرس إخوانهم في الوثنية، بينما أحب المسلمون انتصار الروم لأنهم أهل كتاب، واستبشروا بالخبر.

لقد كان الأمر كما تنبأ ﷺ، ففي عام ٦٢٣ م وما بعدها استطاع هرقل أن يتخلص من لهوه ومجونه، وشن ثلاث حملات ناجحة أخرجت الفرس من بلاد الرومان.

وفي عام ٦٢٦ م واصل الرومان زحفهم حتى وصلوا إلى ضفاف دجلة داخل حدود الدولة الفارسية، واضطر الفرس لطلب الصلح مع الرومان بعد هزيمتهم في معركة نينوى، فمن ذا الذي أخبر النبي محمداً ﷺ بهذه النبوءة العظيمة؟ إنه وحي الله، وهو دليل رسالته ونبوته ﷺ.

عَنْ نِبَارِ بْنِ مَكْرَمٍ الْأَسْلَمِيِّ رحمته الله قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الْم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝﴾ [الرُّوم: ١ - ٤]، فَكَانَتْ فَارِسُ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَاهِرِينَ لِلرُّومِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُجِبُّونَ ظُهُورَ الرُّومِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَفِي ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝﴾ (الرُّوم: ٤ - ٥).

(١) تاريخ سقوط وانحدار الإمبراطورية الرومانية، إدوار جبن (٧٤/٥).

فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُحِبُّ ظُهُورَ فَارِسَ لَأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ لَيَسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ وَلَا إِيْمَانٍ
بِيعُثْ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه يَصِيحُ فِي نَوَاحِي مَكَّةَ
﴿الْم ١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي
بِضْعِ سِنِينَ ﴿الرُّوم: ١ - ٤﴾.

قَالَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِأَبِي بَكْرٍ: «فَذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ زَعَمَ صَاحِبُكُمْ أَنَّ الرُّومَ
سَتَغْلِبُ فَارِسًا فِي بِضْعِ سِنِينَ أَفَلَا تُرَاهِنُكَ عَلَى ذَلِكَ؟». قَالَ: «بَلَى». وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ
الرَّهَانِ ^(١). فَارْتَهَنَ أَبُو بَكْرٍ وَالْمُشْرِكُونَ وَتَوَاضَعُوا الرَّهَانَ وَقَالُوا لِأَبِي بَكْرٍ كَمْ تَجْعَلُ
الْبِضْعَ ثَلَاثَ سِنِينَ إِلَى تِسْعِ سِنِينَ فَسَمَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَسَطًا تَنْتَهَى إِلَيْهِ.

فَسَمَّوْا بَيْنَهُمْ سِتَّ سِنِينَ، فَمَضَتْ السَّتُّ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرُوا فَأَخَذَ الْمُشْرِكُونَ
رَهْنَ أَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا دَخَلَتِ السَّنَةُ السَّابِعَةُ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ فَعَابَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى
أَبِي بَكْرٍ تَسْمِيَةَ سِتِّ سِنِينَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾.

وَأَسْلَمَ عِنْدَ ذَلِكَ نَاسٌ كَثِيرٌ. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ
عَلَى فَارِسَ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ فَارِسُ عَلَى الرُّومِ؛ لِأَنَّهُمْ
أَهْلُ أَوْثَانٍ، فَذَكَرَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ لِأَبِي بَكْرٍ فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ
سَيَظْهَرُونَ».

فَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ ذَلِكَ لِلْمُشْرِكِينَ، فَقَالُوا: «اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلًا، إِنْ ظَهَرُوا كَانَ
لَكَ كَذَا وَكَذَا، وَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا». فَجَعَلَ أَجَلًا خَمْسَ سِنِينَ فَلَمْ يَظْهَرُوا

(١) الرَّهَانُ: الْمُخَاطَرَةُ: أَنْ يَتَرَاهَنَ شَخْصَانِ أَوْ حِزْبَانِ عَلَى شَيْءٍ يُمَكِّنُ حُصُولَهُ كَمَا يُمَكِّنُ عَدَمَ حُصُولِهِ
بِدُونِهِ، كَأَنْ يَقُولَا مَثَلًا: إِنْ لَمْ تُمْطِرِ السَّيَاءُ غَدًا فَلَكَ عَلَى كَذَا مِنَ الْمَالِ، وَإِلَّا فَلِي عَلَيْكَ مِثْلُهُ مِنَ الْمَالِ، وَالرَّهَانُ
بِهَذَا الْمَعْنَى حَرَامٌ وَهُوَ صُورَةُ الْقَهَارِ الْحَرَمِ.

فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا جَعَلْتُهُ - أَرَاهُ قَالَ: - دُونَ الْعَشْرِ». قَالَ: فَظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَقَالَ سَعِيدٌ: «الْبُضْعُ مَا دُونَ الْعَشْرِ» - قَالَ: فَظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْم ١ غُلِبَتِ الرُّومُ ٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ٤﴾ (الرُّوم: ١ - ٤)، قَالَ: فَغُلِبَتِ الرُّومُ ثُمَّ غُلِبَتْ بَعْدُ، قَالَ: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ٤﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ ٥﴾ (الرُّوم: ٤ - ٥). قَالَ: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ٤﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ ٥﴾ (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

تحدي العرب بأنهم سيعجزون، ولن يأتوا بمثل هذا القرآن:

تأمل في قول الله ﷻ وهو يتحدى العرب بفصاحتهم وبلاغتهم تصريح القرآن بعجز الناس أن يأتوا بمثل القرآن، وأن يأتوا بعشرِ سُوَرٍ من سُورِهِ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورةٍ واحدة.

وختم تحديه بتصريحه للحقيقة التي بقيت خالدة مدى الدهر: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الْآلِئِ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ٢٤﴾ (البقرة: ٢٣ - ٢٤). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨﴾ (الإسراء: ٨٨).

القرآن يكذب وعود المنافقين لليهود:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ شَهِدٌ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلِكَنَّ الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢﴾ (الحشر: ١١ - ١٢).

وذلك: حين وعد المنافقون بزعامة عبد الله بن أبي بن سلول يهود بني قُرَيْظَةَ والنَّضِير أن ينصروهم وَيُخْرِجَنَّ معهم إن أخرجوا منه، وفي هذا الإخبار: دليل على صحّة النبوة، لأنّه إخبار بالغيوب. ثم قاتل النبي ﷺ يهود بني قُرَيْظَةَ ويهود بني النَّضِير وأخرجهم، فخذلهم المنافقون حين قوتلوا، ولم يخرجوا معهم حين أخرجوا.

إخبار النبي ﷺ عن كيفية ومكان وفاة بعض معاصريه:

ومن دلائل نبوته وأمارات رسالته ﷺ ما أخبر به عن أمور تتعلق بوفاة بعض أصحابه وأهل بيته وغيرهم من أعدائه، وتبينه لكيفية ومكان وحال مصرعهم، وهو علم لا يعرفه النبي ﷺ من تلقاء نفسه. فالموت وما يتعلق به علمٌ اختص الجبار - تبارك وتعالى - نفسه بمعرفته، فهو وحده من يعرف أعمار البشر وأماكن قبض أرواحهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (لقمان: ٣٤).

وقد أعلم الله نبيه ﷺ بزمان أو كيفية موت بعض أصحابه وأهل بيته، كذلك بعض أعدائه، فأخبر به ﷺ، فكان تحقّقه برهاناً على نبوته وعلماً من أعلام رسالته، إذ لا يمكن لأحد معرفة ذلك ولا التنبؤ به إلا من قِبَلِ الله علام الغيوب. ومن هذه الأنباء الباهرة؛ إخباره ﷺ عن استشهاد عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم، وأنهم لن يموتوا على فُرْشهم أو سواه مما يموت به الناس.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ». (رواه مُسْلِمٌ).

وفي هذا الحديث معجزاتٌ لرسول الله ﷺ: منها إخباره أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلّهم غير النبي ﷺ وأبي بكر الصديق شهداء؛ فإن عمر وعثمان وعليًا وطلحة والزبير رضي الله عنهم قُتِلُوا ظُلماً شهداء.

ومن دلائل نبوته وأعلام صدقه ﷺ إخباره ﷺ ببقاء فاطمة بعده، وأنها أول أهل بيته وفاة. وقد توفيت بعده ﷺ بستة أشهر فقط، فكانت أول أهل بيته وفاة.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تُخْطِي مَشْيُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَبَ بِهَا فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي». ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ. فَقُلْتُ لَهَا: «خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسَّرَارِ ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا: «مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»، قَالَتْ: «مَا كُنْتُ أَفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَلَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: «عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنْ الْحَقِّ لَمَّا حَدَّثْتَنِي مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».

فَقَالَتْ: «أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، أَمَّا حِينَ سَارَّانِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَأَخْبَرَنِي: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَإِنَّهُ عَارِضُهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ وَإِنِّي لَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ فَاتَّقِ اللَّهَ وَاصْبِرْ فَإِنَّهُ نَعَمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ، وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي». قَالَتْ: «فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتُ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّانِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ». قَالَتْ: «فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتُ» (رواه البخاري ومسلم).

وهذه معجزة ظاهرة له ﷺ، بل معجزتان، فأخبر ببقائها بعده، وبأنها أول أهله لحاقًا به، ووقع كذلك، وضحكت سرورًا بسرعة لحاقها.

ومن دلائل نبوته ﷺ تحديد مصارع بعض المشركين في غزوة بدر، ففي اليوم السابق ليوم بدر، تفقد رسول الله ﷺ أرض المعركة المرتقبة، وجعل يشير إلى مواضع مقتل المشركين فيها، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ». وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

(فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعٍ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ): أَيُّ مَا تَبَاعَدَ أَحَدُهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ حَدَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْضِعَ قَتْلِهِمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وهذا الحديث من أعلام النبوة ومعجزاتها، وذلك لإنبائه ﷺ بمصرع جابرتهم، وتحديد أماكنته، وقد وقع كما أخبر ﷺ.

وأخبر ﷺ بقتل المسلمين لأمية بن خلف، فعن عبد الله بن مسعود عن سعد بن معاذ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ صَدِيقًا لِأُمِيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَكَانَ أُمِيَّةٌ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ، نَزَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَكَانَ سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمِيَّةَ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، انْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُعْتَمِرًا، فَتَزَلَ عَلَى أُمِيَّةَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ سَعْدُ لِأُمِيَّةَ: «انْظُرِي لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ، لَعَلِّي أَطُوفُ بِالْبَيْتِ».

فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «يَا أَبَا صَفْوَانَ مَنْ هَذَا مَعَكَ؟». قَالَ: «هَذَا سَعْدٌ». قَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: «أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا، وَقَدْ أَوَيْتُمُ الصُّبَاةَ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ، أَمَا وَاللَّهِ، لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ، مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا».

فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ: «أَمَا وَاللَّهِ، لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا، لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ، طَرِيقَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ». فَقَالَ لَهُ أُمِيَّةُ: «لَا تَرْفَعِ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي»، وَجَعَلَ يُمَسِّكُهُ، فَغَضِبَ سَعْدٌ فَقَالَ: «دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمِيَّةُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ». (وَفِي رِوَايَةٍ: فَإِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ). قَالَ: «بِمَكَّةَ؟». قَالَ: «لَا أَدْرِي». (وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ: «وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ»).

فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمِيَّةٌ فَرَعًا شَدِيدًا، فَلَمَّا خَرَجُوا، رَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا صَفْوَانَ، أَلَمْ تَرِنِي مَا قَالَ لِي سَعْدٌ؟». قَالَتْ: «وَمَا قَالَ لَكَ؟». قَالَ: «زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِي، فَقُلْتُ لَهُ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي». فَقَالَ أُمِيَّةُ: «وَاللَّهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ».

فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ بَدَرٍ، اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ فَقَالَ: «أَذْرِكُوا عِيرَكُمْ». فَكَّرَهُ أُمَيَّةٌ أَنْ يَخْرُجَ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: «يَا أَبَا صَفْوَانَ، إِنَّكَ مَتَى يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي، تَخَلَّفُوا مَعَكَ». فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ: «أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي، فَوَاللَّهِ لَا أَشْتَرِينَ أَجُودَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ».

ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةٌ: «يَا أُمَّ صَفْوَانَ، جَهِّزِيَنِي». فَقَالَتْ لَهُ: «يَا أَبَا صَفْوَانَ، وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِيُّ؟». قَالَ: «لَا، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلَّا قَرِيبًا». فَلَمَّا خَرَجَ أُمَيَّةٌ، أَخَذَ لَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا عَقَلَ بَعِيرَهُ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللَّهُ بَدْرٍ.

وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: «إِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ الْوَادِي، فَسِرْ مَعَنَا يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ»، فَسَارَ مَعَهُمْ، فَقَتَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبُخَارِيُّ).

والعجب كل العجب من يقين أمية بتحقيق مواعده ﷺ وخوفه من ذلك، لكن أتى له أن يكذب الصادق الأمين الذي مازالوا منذ شبابه يشهدون له بالصدق، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٣٣).

ومن أخبار الغيوب الدالة على نبوة النبي ﷺ؛ إخباره بسوء خاتمة بعض من يظن أنهم يموتون على الإسلام أو قد يدخلون فيه، فقد تنبأ النبي ﷺ بهلاك عمه أبي لهب وزوجه على الكفر، حين أخبر - فيما نقله عن ربه - ببقائهما على الكفر وهلاكهما على ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ (٣) وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسْلَمٍ﴾ (المسد: ١ - ٥).

تنبى هذه السورة بأنَّ أبا لهب عم رسول الله ﷺ سيموت كافراً فيُعَذَّب في النار، ولقد أسلم كثير من المشركين الذين حاربوا الإسلام بكلِّ قواهم، كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم. وظل أبو لهب على عناده وكفره. فكيف أمكن التنبؤ بآئه - بالذات - لن يُسلم ولو نفاقاً وحقناً لدمه، وأنه سيموت على كفره!!

قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فإنه منذ نزلت هذه السورة فأخبر عنها بالشقاء وعدم الإيوان، لم يُقَيِّضْ لهما أن يؤمنا، ولا واحدٌ منهما، لا باطنًا ولا ظاهرًا، لا مُسِرًّا ولا معلنًا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة.

الإخبار بانتشار الإسلام وظهور أمره على الأديان، وبلوغه إلى الآفاق:

وهو أمر غيب لا مدخل فيه للتخمين ورجم الظنون، فإما أنه كاذب صادر من دعيٍّ، أو هو خبر صادق أوحاه الله ﷻ الذي يعلم ما يُستقبل من الأحداث والأخبار.

وشواهد ذلك كثيرة في القرآن والسنة، منها قوله قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣)، وقد صدقه الله ﷻ فقد ظهر أمره، وتم نوره، وعظم دينه.

وقد قال ﷺ منبئًا عن ملك أمته وسلطانها: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا» (رواه مسلم).

وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة، وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به النبي ﷺ، وفيه إشارة إلى أَنَّ مُلْكَ هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب، وهكذا وقع، وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب. فقد أعلمه الله ﷻ بانتشار دينه، وبسؤدد أتباعه وأمته من بعده على فارس والروم وغيرها من البلاد.

ومثل هذه النبوءة العظيمة بل أعظم منها؛ تنبؤه ﷺ عن بلوغ دينه إلى أقاصي الأرض، فعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، يَعِزُّ عَزِيزٍ، أَوْ يَذِلُّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذِلًّا يَذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».

قَالَ تَمِيمٌ رحمه الله: «وَقَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجَزِيَّةُ». (رواه الإمام أحمد في المسند، وصححه الألباني).

وكان تميم الداري رحمه الله يؤكد تحقق هذه النبوءة.

وقد بشر النبي ﷺ ببعض الفتوحات فتحققت حال حياته أو بعد وفاته، فكانت دليلاً على نبوته ورسالته. وقد غادر النبي ﷺ الدنيا ولمَّا يرى بأم عينه بعضاً مما وعده الله تعالى في دينه وأمته، ولكنها تحققت زمن خلفائه وأتباعه رضي الله عنهم.

لكن العجيب المدهش الذي يلوي الأعناق من أخبار الفتوح أن بعض هذه الأخبار كانت في وقت ضيق المسلمين، وعلى خلاف ما توحى به الأحداث، بل على عكسه ونقيضه، لقد كان النبي ﷺ يتنبأ - وهو في ضنك البلاء والمحنة - بما لا يمكن لأحد أن يحلم به ولو في رؤياه.

فَعَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ رحمه الله قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بَرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا: «أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا؟!»، فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا فَبَجَاءُ بِالْمَنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُسْطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّائِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» (رواه البخاري).

إنه ﷺ يتنبأ بتمام أمر دينه، وبأمن أصحابه في زمن ما كانوا يجرؤون فيه على إعلان دينهم خوفاً من بطش قريش وعذابها.

وفي موقف آخر من المواقف الصعبة التي عانى منها الصحابة رضي الله عنهم ما رواه عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ رحمه الله قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرٌ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الْحَيْرَةَ؟»، قُلْتُ: «لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُبْنِئْتُ عَنْهَا»، قَالَ: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيْنَ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَاؤُ طَيِّئٍ

الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ - وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَّثُفَّتَحَنَ كُنُوزُ كِسْرَى». قُلْتُ: «كِسْرَى بِنِ هُرْمُزَ؟».

قَالَ: «كِسْرَى بِنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيْنَ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ».

قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بِنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوْنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ: ﷺ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ» (رواه البخاري).

(الْفَاقَةُ): الفقر. (الْحِيرَةُ): بلد معروف قديماً مجاور للكوفة. (الظَّعِينَةُ): هو في الأصل اسم الهوج ثم قيل للمرأة في الهودج وقد تقال للمرأة مطلقاً. (دُعَاؤُ): جمع داعر وهو الخبيث المفسد الفاسق والمراد بهم قطاع الطرق. (سَعَرُوا الْبِلَادَ): أشعلوا فيها نار الفتنة وأفسدوها.

إن الإحصائيات تخبرنا بأن الدين الإسلامي هو الأسرع انتشاراً، وأن جميع دول العالم فيها مسلمون بنسبة أو بأخرى، وأن المسلمين منتشرون في كل بقعة من بقاع الأرض، أليس هذا ما حدثنا عنه النبي الأعظم ﷺ؟!

الإخبار عن انتصار المسلمين في غزوة بدر:

فقد جازمت آيات قرآنية وأحاديث نبوية بانتصار المسلمين في غزوة بدر، وكان ذلك في آيات نزلت في مكة حال ضعف الإسلام والمسلمين، وذلك في وقت كان المسلمون يعانون في مكة صنوف الاضطهاد ويُسَامُون سوء النكال؛ وفي وسط هذا البلاء نزل على النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَآمُرُ﴾ (القمر: ٤٣ - ٤٦). أراد بالجمع: قريش، وجزم بأنهم سوف يهزمون عند مواجهة المسلمين. وقد كان ذلك في غزوة بدر الكبرى.

إن هذه الآيات نزلت تتحدث عن غزوة بدر، ووقت نزولها كان قبل الهجرة بسنوات، وكانت عائشة يومئذ صغيرة، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قَالَتْ: لَقَدْ أُنْزِلَ

عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةُ الْعَبِّ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ (القمر: ٤٦). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ ^(١) يَوْمَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِن شِئْتَ لَمْ تُعَبِّدْ بَعْدَ الْيَوْمِ». فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: «حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ». وَهُوَ فِي الدَّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الذَّبْرُ﴾ ٥٥ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ (القمر: ٤٥ - ٤٦). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

لقد تحققت وعود تلك الآيات، فقد هزمت جموع المشركين، وولوا على أدبارهم، وصدق الله ﷻ نبيه ﷺ الوعد، وعد الله لا يخلف الله الميعاد.

إخبار القرآن عن دخول المؤمنين مكة:

ولقد وعد الله تعالى المؤمنين بدخول المسجد الحرام آمنين محلّين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون، فحدث كما أخبر القرآن الكريم. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ٢٧).

رَأَى النَّبِيُّ ﷺ فِي رُؤْيَاهُ أَنَّهُ يَأْتِي الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَيَطُوفُ بِهِ، فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ، فَسَرُّوا بِذَلِكَ، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي عَامِهِمْ، فَتَجَهَّزُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ آمِنِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مُعْظَمِينَ لِحُرْمَتِهِ، فَصَدَّتْهُمْ قَرِيشٌ عَنِ الْبَيْتِ، وَانْتَهَى الْأَمْرُ بِإِبْرَامَ صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ الَّذِي أُلْزِمَ الْمُسْلِمِينَ بِالْعُودَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَنْ يَعْتَمِرُوا مِنْ عَامِهِمُ الْقَابِلِ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ١ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢-٥) مَرْجِعُهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَهُمْ يُخَالِطُهُمُ الْحُزْنُ

(١) (القُبَّة): بَيْتٌ صَغِيرٌ مِنَ الْخِيَامِ.

وَالْكَابَةِ، وَقَدْ نَحَرَ الْهُدْيَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ، فَقَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيُضْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۖ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝﴾ (الفتح: ١ - ٥).

والمراد بالفتح هنا الحديبية، لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين، لما ترتب على الصلح الذي وقع منه الأمن ورفع الحرب، وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك، كما وقع لخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما رضي الله عنهم، ثم تبعت الأسباب بعضها بعضاً إلى أن كمل الفتح.

فلم يكن في الإسلام فتحٌ قبل فتح الحديبية أعظم منه، وإنما كان الكفر حيث القتال، فلما أمن الناس كلهم؛ كلّم بعضهم بعضاً، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يكن أحداً في الإسلام يعقل شيئاً إلا بادر إلى الدخول فيه، فلقد دخل في تلك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر. ويدل عليه أنه رضي الله عنه خرج في الحديبية في ألف وأربعمائة، ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكة في عشرة آلاف.

وقبل أن يظهر لأصحاب النبي ﷺ أبعاد الفتح العظيم؛ عزم النبي ﷺ على الرجوع إلى المدينة؛ وأمر الصحابة بذبح الهدي والعود إلى المدينة، فكروها عودتهم من غير أن يأتوا البيت، فيحققوا رؤيا النبي ﷺ، فأتى عمر رضي الله عنه النبي ﷺ فقال له: «أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟»، قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: «أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ»، قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: «فَلِمَ نُعْطِيَ الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟»، قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي»، قَالَ: «أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَتُطَوَّفُ بِهِ؟»، قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ»، قَالَ: «لَا»، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوَّفٌ بِهِ» (رواه البخاري).

ونزلت آيات القرآن تؤكد صدق ما رآه النبي ﷺ في رؤياه وتنبأ بحتمية تحقق ما أوحى الله إليه في رؤياه: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ٢٧). (الفتح: ٢٧)، وقد تحقق ذلك في عمرة القضاء في العام الذي يليه.

صدق الوعد بفتح قريب ومغانم كثيرة فيه:

أثاب الله ﷻ الصحابة ﷺ على صدق بيعتهم لرسول الله ﷺ عند شجرة الرضوان بفتح قريب ومغانم وفيرة، أثابهم بفتح خير، فقال واعدًا إياهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٩ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢٠ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (الفتح: ١٨ - ٢١).

إن الله ﷻ يعد أصحاب الشجرة ﷺ في هذه الآية بمغيبات عدة، منها الوعد بفتح قريب ومغانم كثيرة فيه، فأثاب الله ﷻ هؤلاء الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة - مع ما أكرمهم به من رضاه عنهم وإنزاله السكينة عليهم وإثابته إياهم - فتحاً قريباً، معه مغانم كثيرة يأخذونها من أموال يهود خيبر، فإن الله جعل ذلك خاصة لأهل بيعة الرضوان دون غيرهم.

والتنبؤ بفتح خير لم يكن تنبؤاً بأمر ميسور قريب النوال؛ فإن خير حصون منيعة، وفيها عشرة آلاف من المقاتلين الشجعان، أي ما يساوي سبع مرات عدد المسلمين القادمين لفتحها، لكنه موعود الله ﷻ.

وما إن لاحت بالأفق حصونها حتى قال ﷺ: «حَرَبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ»، قَالَ أَنَسُ: «وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» (رواه

مُسْلِمٌ). وفي هذا الحديث من دلالة النبوة أنه كان كما قال، خربت خيبر بعد نزوله ﷺ بساحتهم.

الإخبار عن جلاء اليهود من خيبر:

وكما أخبر عن فتح خيبر فإنه تحدث عن جلاء اليهود منها، وقد وقع ذلك زمن خلافة عمر رضي الله عنه، وكان ذلك من إخباره رضي الله عنه بالمغيبات قبل وقوعها.

فَعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا فَدَعَ أَهْلَ خَيْبَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَامَ عُمَرُ خَطِيبًا، فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَامِلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَقَالَ: «تُقَرِّكُم مَّا أَقَرَّكُمُ اللَّهُ»، وَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ خَرَجَ إِلَى مَالِهِ هُنَاكَ، فَعُدِّي عَلَيْهِ مِنَ اللَّيْلِ، ففُدِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ، وَلَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ، هُمْ عَدُونَا وَتَهْمَتُنَا وَقَدْ رَأَيْتُ إِجْلَاءَهُمْ».

فَلَمَّا أَجْمَعَ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ أَتَاهُ أَحَدُ بَنِي أَبِي الْحَقِيقِ، فَقَالَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْرِجْنَا وَقَدْ أَقَرَّنَا مُحَمَّدٌ، وَعَامَلَنَا عَلَى الْأَمْوَالِ وَشَرَطَ ذَلِكَ لَنَا»، فَقَالَ عُمَرُ: «أَظَنَنْتَ أَنِّي نَسِيتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيْبَرَ تَعْدُو بِكَ قُلُوصَكَ لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ؟»، فَقَالَ: «كَانَتْ هَذِهِ هُزَيْلَةً مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ»، قَالَ: «كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ»، فَأَجْلَاهُمْ عُمَرُ، وَأَعْطَاهُمْ قِيَمَةَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الثَّمَرِ، مَالًا وَإِبِلًا، وَعُرُوضًا مِنْ أَقْتَابٍ وَحِبَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ. (رواه البخاري).

(فَدَعَ): الْفَدْعُ: هُوَ مَيْلُ الْمَفَاصِلِ وَزَوَالِهَا عَنْ بَعْضِهَا. (مَالِهِ هُنَاكَ): أَرْضُهُ وَنَخِيلُهُ فِي خَيْبَرَ. (فَعُدِّي عَلَيْهِ): ظَلَمُوهُ وَتَعَدَّوْا عَلَيْهِ. (تَهْمَتُنَا) الَّذِينَ نَتَّهَمُهُم بِالْتَّعَدِّي. (إِجْلَاءَهُمْ) إِخْرَاجَهُمْ مِنْ بِلَدِهِمْ. (بَنِي أَبِي الْحَقِيقِ): هُمْ مِنْ زُعَمَاءِ الْيَهُودِ وَرُؤَسَائِهِمْ. (كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيْبَرَ تَعْدُو بِكَ قُلُوصَكَ لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ؟): كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ مُوجَّهٌ لِأَحَدِ بَنِي أَبِي الْحَقِيقِ الْمَذْكُورِ فِي الْحَدِيثِ. (قُلُوصُكَ): النَّاقَةُ الصَّابِرَةُ عَلَى السَّيْرِ وَقِيلَ أَتَى الْإِبِلَ أَوَّلَ مَا تُرْكَبُ. (هُزَيْلَةً): تَصْغِيرُ هَزَلَةٍ وَاحِدَةٍ الْهَزَلُ وَهُوَ ضِدُّ الْجِدِّ. (عُرُوضًا): أَمْتَعَةً. (أَقْتَابٍ): جَمْعُ قَتَبٍ وَهُوَ مَا يَوْضَعُ حَوْلَ سَنَامِ الْبَعِيرِ تَحْتَ الرَّكَبِ.

إخباره القرآن الكريم عن فتح بلاد منيعة:

ولم يكن فتحُ خيبرَ الوعدَ الوحيد الذي وعده الله أصحابَ الشجرة، بل قد بشرهم بغيرها، فقد بشرهم بفتح بلاد منيعة لم يقدروا على فتحها من قبل. واختلف العلماء في تحديدها، هل هي الطائف أو مكة؟ فكلتاهما استعصت على المسلمين، قال تعالى: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (الفتح: ٢١). والذي اختاره الطبري وغيره أن هذه الآية الكريمة بشارة بفتح مكة، وأنها البقعة التي رامها المسلمون ولم يقدروا عليها بعد، وتحقق الوعد بفتح مكة.

الإخبار عن هلاك كسرى وقيصر، وأنه لا كسرى ولا قيصر

بعدهما:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

(وفي رواية: «هَلَكَ كِسْرَى، ثُمَّ لَا يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَقَيْصَرٌ لِيَهْلِكَنَّ، ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَلَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

الإخبار عن فتح الشام والعراق وفارس واليمن:

ومما بشر به ﷺ، فتحقق بعده كما أخبر، بشارته بفتوح اليمن والشام والعراق واستيطان المسلمين بهذه البلاد، حيث قال ﷺ: «تُفْتَحُ الْيَمَنُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبْسُونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الشَّامُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبْسُونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْعِرَاقُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبْسُونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

(يَبْسُونَ): أي يزيّنون إليهم السكنى في تلك البلاد ويدعونهم ليرحلوا إليها، فيسوقون إبلهم ودوابهم راحلين من المدينة.

قال العلماء: في هذا الحديث معجزاتُ لرسول الله ﷺ، لأنه أخبر بفتح هذه الأقاليم، وأن الناس يتحملون بأهلهم إليها ويتركون المدينة، وأن هذه الأقاليم تفتح على هذا الترتيب (اليمن ثم الشام ثم العراق)، ووُجد جميعُ ذلك كذلك بحمد الله وفضله.

فقد افتتحت اليمن في أيام النبي ﷺ وفي أيام أبي بكر، وافتتحت الشام بعدها، والعراق بعدها، وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد وقع على وفق ما أخبر به النبي ﷺ وعلى ترتيبه، ووقع تفرق الناس في البلاد لما فيها من السعة والرخاء، ولو صبروا على الإقامة بالمدينة لكان خيراً لهم.

وأما فتح فارس، فقد بشر به رسول الله ﷺ أصحابه، فقال: «لَتَفْتَحَنَّ عِصَابَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

(الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ): أي الذي في قصره الأبيض أو قصوره ودوره البيض. وتحقق الوعد زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ففتح الصحابة رضي الله عنهم، فكان أول من رأى القصر الأبيض ضرار بن الخطاب، فجعل الصحابة رضي الله عنهم يكبرون ويقولون: «هذا ما وعدنا الله ورسوله ﷺ».

وفي غزوة الخندق والمسلمون محاصرون من المشركين واليهود بشر النبي ﷺ أصحابه بفتح الشام وفارس واليمن، وقد حدث ما أخبر به النبي ﷺ.

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةً فِي مَكَانٍ مِنَ الْخَنْدَقِ لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، فَشَكَّوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَأَخَذَ الْمُعْوَلَ فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ» فَضْرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْخُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا».

ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ» وَضْرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا». ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ»، وَضْرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ».

أُعْطِيَتْ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» (إسناده حسن رواه الإمام أحمد).

الإخبار عن فتح مصر:

أخبر النبي ﷺ بفتح مصر؛ ودعا إلى الإحسان إلى أهلها إكرامًا لهاجر أم إسماعيل، فقد كانت من أرض مصر، كما أخبر بدخول أهلها في الإسلام واشترাকهم مع إخوانهم في التمكين له، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضُ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمًا»، أَوْ قَالَ «ذِمَّةً وَصِهْرًا، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعٍ لَبْنَةٍ، فَاخْرُجْ مِنْهَا» قَالَ: فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شُرْحَيْلِ بْنِ حَسَنَةَ، وَأَخَاهُ رِبْعَةَ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعٍ لَبْنَةٍ فَخَرَجْتُ مِنْهَا. (رواه مسلم).

(الْقَيْرَاطُ): جُزْءٌ مِنَ أَجْزَاءِ الدِّينَارِ وَالذَّهَبِ وَغَيْرِهِمَا وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ يُكْثِرُونَ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ وَالتَّكَلُّمِ بِهِ. وَأَمَّا الذِّمَّةُ فَهِيَ الْحُرْمَةُ وَالْحَقُّ وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى الدِّمَامِ. وَ(الذِّمَامُ) الْعَهْدُ وَالْأَمَانُ وَالْكَفَالَةُ وَالْحَقُّ وَالْحَرَمَةُ.

وَأَمَّا الرَّحِمُ فَلِكُونِ هَاجِرٍ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مِنْهُمْ، وَأَمَّا الصَّهْرُ فَلِكُونِ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهُمْ. وَفِي الْحَدِيثِ مُعْجَزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِإِخْبَارِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْأُمَّةَ تَكُونُ لَهُمْ قُوَّةٌ وَشَوْكَةٌ بَعْدَهُ بِحَيْثُ يَقْهَرُونَ الْعَجَمَ وَالْجَبَابِرَةَ، وَيَفْتَحُونَ مِصْرَ. وَوَقَعَ ذَلِكَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وفي رواية: «إِذَا فَتَحْتُمْ مِصْرَ، فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمًا» (رواه الحاكم والطبراني، وصححه الألباني).

(فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً) حُرْمَةٌ وَأَمَانًا مِنْ جِهَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُسْتَفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّ أُمَّهُ مَارِيَةَ مِنْهُمْ (وَرَحْمًا) قَرَابَةٌ لِأَنَّ هَاجِرَ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مِنْهُمْ. وَهَذَا مِنْ مُعْجَزَاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ قُبِضَ بَعْدَهُ. وَلِذَلِكَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَبِضَ مِصْرَ أَخْوَافَ قَرِيشَ مَرَّتَيْنِ».

وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ اللَّهُ فِي قَبْطِ مِصْرَ، فَإِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ عُدَّةً، وَأَعْوَانًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (رواه الطبراني، وصححه الألباني).

وتحقق ذلك زمنَ خلفائه الراشدين، فكان أبو ذر رضي الله عنه من فتح مصر وسكنها، يقول رضي الله عنه: «فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شَرْحِبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ، وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعٍ لَبَنَةٍ فَخَرَجْتُ مِنْهَا».

وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، منها إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده، بحيث يقهرون العجم والجبابة، ومنها أنهم يفتحون مصر، ومنها تنازع الرجلين في موضع اللبن، ووقع كل ذلك والله الحمد.

فتح قبرص واستشهاد أم حرام الأنصارية:

كتب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه والي الشام إلى الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه يستأذنه في غزو البحر أكثر من مرة، فأجابه عثمان إلى ذلك، وكتب إليه: «لا تنتخب الناس ولا تقرر بينهم، خيرهم، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه»، ففعل معاوية، واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الفزاري.

واتجه الأسطول الإسلامي عام ٢٨ للهجرة نحو قبرص وهي الجزيرة الهامة لموقعها في البحر المتوسط، فهي المحطة البحرية الاستراتيجية للتجارة والملاحة، كما أن موقعها مهم لحماية فتوح المسلمين في بلاد الشام وإفريقية.

اتجه الأسطول الإسلامي من سواحل بلاد الشام بقيادة عبد الله بن قيس إلى قبرص وسار إليها أيضاً أسطول إسلامي آخر من مصر بقيادة عبد الله بن سعد فانزعها المسلمون عام ٢٨ هـ من البيزنطيين وامبراطورهم آنذاك قنسطانس الثاني.

وفي هذه الغزوة توفيت أم حرام بنت ملحان الأنصارية رضي الله عنها تحقيقاً لنبوة رسول الله ﷺ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ خَالَاتِهِ أُمِّ حَرَامَ بِنْتِ مِلْحَانَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ عِنْدَنَا، فَاسْتَيْقِظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: «مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي»، قَالَ: «أُرَيْتُ قَوْمًا مِنْ أُمَّتِي يَرَكْبُونَ ظَهَرَ الْبَحْرِ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ»، فَقُلْتُ: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُجْعَلَنِي مِنْهُمْ»، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْهُمْ»، قَالَتْ:

ثُمَّ نَامَ، فَاسْتَيْقَظَ أَيُّضًا وَهُوَ يَضْحَكُ، فَسَأَلَتْهُ، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، فَقُلْتُ: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُجْعَلَنِي مِنْهُمْ»، قَالَ: «أَنْتَ مِنَ الْأَوَّلِينَ»، قَالَ: فَتَرَوَّجَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّامِتِ بَعْدُ، فَغَزَا فِي الْبَحْرِ فَحَمَلَهَا مَعَهُ، فَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ قُرْبَتْ لَهَا بَعْلَةٌ فَرَكِبَتْهَا فَصَرَ عَثَمًا، فَاَنْدَقَتْ عَنْقُهَا. (رواه مسلم). (فَقَالَ): نام وقت القيلولة.

وُدُفِنَتْ أُمُّ حَرَامٍ فِي قَبْرِصٍ وَلَا يَزَالُ قَبْرُهَا هُنَاكَ.

الإعجاز الغيبي في الحديث:

إخبار النبي ﷺ عن ركوب ظهر البحر في سبيل الله، والإخبار أن أُمَّ حَرَامٍ بِنْتُ مِلْحَانَ ﷺ سوف تكون منهم وسوف تكون من الأولين.

غزو الهند:

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا اللَّهُ مِنَ النَّارِ: عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ، وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» (رواه الإمام أحمد في المسند، وصححه الألباني).

(عِصَابَتَانِ): أي: جماعتان. (أَحْرَزَهُمَا): أي: نجَّاهما وحَفِظَهُمَا.

و قد غزت الهند وفتحتها جيوش المسلمين بقيادة محمود بن سُبُكْتِكِين في القرن الرابع والخامس الهجري.

الإخبار عن فتح القسطنطينية:

ولا تتوقف نبوءات النبي ﷺ عند فتوح العراق والشام ومصر والهند، بل يمتد إخباره ليحدث عن فتح بلاد بعيدة المنال، عَصِيَّة القلاع، القسطنطينية عاصمة دولة الروم، فعن أَبِي قَبِيلٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَسُئِلَ: «أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟». فَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَكْتُبُ إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَدِينَةُ هِرَقْلٍ تُفْتَحُ أَوَّلًا»، يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةً (رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني). (رُومِيَّةٌ: روما عاصمة إيطاليا الآن).

قال الشيخ الألباني رحمه الله: «وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني كما هو معروف، وذلك بعد ثمانمائة سنة من إخبار النبي ﷺ بالفتح، وسيحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى ولا بد، ولتعلّمُن نبأه بعد حين»^(١).

إخباره ﷺ عن أخبار الفتن:

وإن مما أخبر عنه ﷺ من الغيوب الدالة على نبوته؛ أخبار الفتن التي وقعت بين أصحابه بعد وفاته ﷺ، فكان إخباره بذلك برهان نبوته، فأنبأ النبي ﷺ بوقوع فتن قتل عثمان في المدينة المنورة، وأشار إلى ما سيقع من الفتن في العراق أو بسبب أهلها، وكذلك تنبأ ﷺ بظهور الخوارج، وحدد صفاتهم وسماتهم، وكل ذلك ثابت عنه ﷺ في الأحاديث الصحيحة.

الإشارة إلى ضعف المسلمين وتداعي أعدائهم عليهم:

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا». فَقَالَ قَائِلٌ: «وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ». قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». فَقَالَ قَائِلٌ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟». قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَّةُ الْمَوْتِ». (رواه أبو داود، وصححه الألباني).

(تَدَاعَى): أَي: تَدَاعَى بِأَنْ يَدْعُو بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِمَقَاتَلَتِكُمْ وَكَسْرِ شَوْكَتِكُمْ، وَسَلَبِ مَا مَلَكَتُمُوهُ مِنَ الدِّيَارِ وَالْأَمْوَالِ. (الْأَكَلَةُ): جَمْعُ أَكَلَ. (الْقَصْعَةُ): وَعَاءٌ يُؤْكَلُ وَيُثْرَدُ فِيهِ، وَكَانَ يُتَّخَذُ مِنَ الْخَشَبِ غَالِبًا، وَالضَّمِيرُ فِي (قَصْعَتِهَا) لِلْأَكَلَةِ، أَي: الَّتِي يَتَنَاوَلُونَ مِنْهَا بِلَا مَانِعٍ وَلَا مُنَازِعٍ، فَيَأْكُلُونَهَا عَفْوًا وَصَفْوًا، كَذَلِكَ يَأْخُذُونَ مَا فِي أَيْدِيكُمْ بِلَا تَعَبٍ يَنَافُهُمْ، أَوْ ضَرَرٍ يَلْحَقُهُمْ، أَوْ بَأْسٍ يَمْنَعُهُمْ.

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٣٣).

(غُثَاءُ السَّيْلِ): مَا يَحْمِلُهُ السَّيْلُ مِنْ زَبَدٍ وَوَسَخٍ، شَبَّهَهُمُ بِهِ ﷺ لِقَلَّةِ شَجَاعَتِهِمْ وَدَنَاءَةِ قَدَرِهِمْ. (الْمُهَابَةِ): أَيُّ: الْخَوْفُ وَالرُّعْبُ. (الْوَهْنُ): أَيُّ الضَّعْفِ، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ بِالْوَهْنِ مَا يُوجِبُهُ، وَلِذَلِكَ فَسَّرَهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَكَرَاهَةِ الْمَوْتِ. (وَمَا الْوَهْنُ) أَيُّ: مَا يُوجِبُهُ وَمَا سَبَّبَهُ. (حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ): هَذِهِ هِيَ نَقْطَةُ الضَّعْفِ عِنْدَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، لِذَلِكَ أَغْرَقَ الْأَعْدَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالشَّهَوَاتِ.

تُعَانِي أُمَّةُ الْإِسْلَامِ حَالَةَ غَرِيبَةٍ مِنَ التَّشْرُذِ وَالضَّعْفِ، وَأَصْبَحَتْ بِلَادُهَا كَلَاءً مُسْتَبَاحًا لِلْقَاصِي وَالِدَانِي، وَلَمْ يَشْفَعْ لَهَا كَثَرَةُ عِدَدِ الْمُسْلِمِينَ، فَهَمَّ غُثَاءُ كُثَاءِ السَّيْلِ، إِنَّهُ نَبْوَةٌ مَنْ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، وَهُوَ عِلْمٌ آخِرٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوته ﷺ وَرِسَالَتِهِ.

إِنَّهُ تَشْبِيهُ دَقِيقٌ وَبَلِغٌ، يَعْجِزُ أُبْلَغُ الْبُلْغَاءِ عَنْ وَصْفٍ وَتَصْوِيرٍ هَذَا الْوَاقِعِ الَّذِي تَعِيشُهُ الْيَوْمَ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، كَمَا صَوَّرَهُ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ. فَقَدْ اسْتَهَانَتِ الْأُمَمُ بِنَا وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَكْثَرِ شُعُوبِ الْأَرْضِ تَخَلُّفًا بَعْدَ أَنْ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ ابْتَعَدْنَا عَنْ تَعَالِيمِ هَذَا الدِّينِ الْحَنِيفِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ لِلْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَعُودُوا إِلَى رَشْدِهِمْ وَإِلَى دِينِهِمْ.

لَقَدْ حَدَثَ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَدْ اِحْتَلَّ الْكُفَّارُ مَعْظَمَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقَرْنَيْنِ الْمَاضِيَيْنِ، وَقَدْ بَدَأَتِ الْحَرْبُ عَلَى الْإِسْلَامِ مَعَ بَدَايَةِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ حَيْثُ مَرَّ الْمُسْلِمُونَ بِحَالَةٍ مِنَ الضَّعْفِ الشَّدِيدِ وَالْوَهْنِ مِمَّا سَهَّلَ لِلْكَفَّارِ اِحْتِلَالَ بِلَادِهِمْ.

وَالْيَوْمَ أَصْبَحَتِ الْحَرْبُ عَلَى الْإِسْلَامِ عَلَنِيَّةً بِسَبَبِ اسْتِخْفَافِ الْقُوَى الْعَالِمِيَّةِ بِالْمُسْلِمِينَ وَاعْتِبَارِهِمْ غُثَاءً كُثَاءً السَّيْلِ لَيْسَ لَهُمْ أَيُّ قِيَمَةٍ تَذَكَّرُ، عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الْمَوَارِدِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الضَّخْمَةِ وَالثَّرَوَاتِ الْهَائِلَةِ الَّتِي يَمْلِكُونَهَا، وَالْأَعْدَادُ الْكَبِيرَةُ الَّتِي تُمَيِّزُهُمْ عَنْ بَقِيَّةِ الْأُمَمِ حَيْثُ بَلَغَ عِدَدُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَالَمِ أَكْثَرَ مِنْ ١٨٠٠ مليونَ مُسْلِمٍ!

وَقَدْ أَصْبَحَتِ الْحَرْبُ عَلَى الْإِسْلَامِ شُغْلًا مِنْ لَا شُغْلَ لَهُ! الْكُلُّ يَحَارِبُ الْإِسْلَامَ وَكُلٌّ حَسَبَ أَسْلُوبِهِ وَإِمْكَانِيَّاتِهِ، وَأَهْمُهَا الْحَرْبُ الْإِعْلَامِيَّةُ فِي الْفَضَائِيَّاتِ وَالصَّحُفِ فِي الْغَرْبِ، وَيَتَّبِعُهُمْ فِيهَا أَذْيَالُهُمْ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، حِمَلَاتٌ تَحْرِيطُ وَتَشْوِيهِ وَتَزْوِيرٌ لِلْحَقَائِقِ تَشْنُهَا آلَاتُ الْإِعْلَامِ لَيْلَ نَهَارٍ.

والحرب بنهب ثروات هذه الأمة وإضعافها اقتصادياً والأهم من ذلك "حرب العقول" أو تدمير العقول المسلمة، فالعالم المسلم لا يجد فرصة في وطنه فيضطرب للذهاب إلى الخارج فتحسر الأمة هذه الإمكانيات والتي هي أساس الحضارة والتطور. و"حرب الفتنة" من خلال ضرب المسلمين بعضهم ببعض.

وكل هذا الاجتماع من أعداء الإسلام لخصه لنا النبي الكريم ﷺ في عبارة رائعة تصور لنا تماماً وضعنا اليوم: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا». ألا تشهد هذه العبارة على أنه نبي مرسل من عند الله، وأن الله تعالى هو مَنْ أخبره بهذا الواقع من قبل ١٤٠٠ سنة؟؟!

فالحرب تشتعل بينما تتهافت هذه الدول على سرقة الثروات العربية وعلى رأسها النفط! تماماً مثل الذئب التي تجتمع على الفريسة لتنهش منها ما تستطيع. فهي حرب وسرقة وطمع في هذه الخيرات التي لم يتفجع بها المسلمون إلا في أمور اللهو والطعام والشراب حب الدنيا!

وعلى الرغم من الكثرة العددية للمسلمين إلا أنهم لا قيمة لهم تماماً مثل غثاء السيل أي ما يحمله السيل من بقايا الحشائش والحصى التي لا قيمة لها ولا يتفجع بها. ولذلك قال ﷺ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمٌ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ»، وهذه معجزة نبوية، فمن أخبره ﷺ أن المسلمين سيكونون يومئذ بأعداد كبيرة جداً؟ كيف علم أن أعداد المسلمين كثيرة جداً (فالمسلمون اليوم حوالي ١٨٠٠ مليون مسلم) وأنهم لا يشكلون أي قوة عالمية تُذكر، بل الكل يعتدي عليهم وينال منهم؟!

والأسوأ أنه لا أحد يحسب لهم أي حساب فهم في مؤخرة الأمم ولا هبة لهم. كما قال تماماً: «وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». وهذا ما نراه اليوم يقيناً من خلال نشرات الأخبار ومتابعة الأحداث!! فكيف علم النبي الكريم ﷺ أنه على الرغم من كثرة أعداد المسلمين لن تكون لهم أي هبة بين الدول؟! ألا تشهد هذه العبارة على أن الله تعالى هو الذي أخبره بذلك؟

ثم يشرّح لنا واقعنا ويحلل تحليلًا علميًا دقيقًا حول أسباب هذه الظاهرة التي نعيشها اليوم فيبين أن سبب ضعف المسلمين واجتماع الأمم عليهم هو: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». وبالفعل أصبح المسلمون حريصون على التمتع بهذه الدنيا. إنه تصوير نفسي عجيب للحالة النفسية التي يعيشها كثير من المسلمين اليوم وهي حبهم للملذات واللهاو والموسيقى والألعاب والأفلام والمسلسلات وشواطئ البحار والملاهي وشرب الدخان والنظر للنساء. فمن أي جاء النبي الكريم بهذا العلم وهذا التحليل النفسي الدقيق؟ أليس هو الله من أخبره بذلك؟

وهذا الحديث لم يذكره لنا النبي ﷺ ليزيدنا يأسًا أو إحباطًا أو تسليًا بالهزيمة، إنما حلل لنا الواقع وأسباب هذا الضعف. لنعود لديننا وتعاليمه العظيمة، فتتذكر الموت ولقاء الله ونبتعد قليلًا عن حب الدنيا وزينتها. فهذا هو الطريق للقوة والفلاح والنجاح واستعادة الأجداد بإذن الله تعالى.

الإخبار عن حال الخلافة: نبوة ثم خلافة على منهاج النبوة ثم ملك عاص ثم ملك جبري ثم خلافة على منهاج النبوة؛

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ بحال الخلافة بعده إلى ما شاء الله تعالى، سواء حال الخلافة التي هي على نهج النبوة. وهي الراشدة. أو التي تكون ملكًا عضوًا، أو التي تكون ملكًا جبريًا.. إلخ. وكل ذلك قد تحقق كما أخبر ﷺ.

فعن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوءَةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوءَةٍ ثُمَّ سَكَتَ. (رواه الإمام أحمد وحسنه الألباني).

وقد حدّد رسول الله ﷺ مدة الخلافة التي على منهاج النبوة بثلاثين عامًا، فكانت كما أخبر ﷺ. فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُهْمَانَ عَنْ سَفِينَةَ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خِلَافَةُ النَّبُوءَةِ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مُلْكُهُ

مَنْ يَشَاءُ». قَالَ سَعِيدٌ: ثُمَّ قَالَ لِي سَفِينَةُ عليه السلام: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ سَتَتَيْنِ وَخِلَافَةَ عُمَرَ عَشْرًا وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَخِلَافَةَ عَلِيٍّ سِتَّ سِنِينَ». قَالَ سَعِيدٌ: «فَوَجَدْنَاهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً» (رواه الإمام أحمد في المسند، وأبو داود، والترمذي، وحسنه الألباني).

(أَمْسِكْ عَلَيْكَ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ سَتَتَيْنِ): أي: عُدَّهُ وَاحِسِبْ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ. أما وجه الإعجاز فهو أخبار عليه السلام عن حوادث سوف تكون بعد وفاته وقد كانت تمامًا مثلما تنبأ بها النبي ﷺ.

وصف قتال اليهود من وراء الجدر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر: ١٤).

هذه الآية الكريمة تكشف عن الطبيعة النفسية لليهود، فقد برع اليهود في التعصب الأعمى ضد كل من سواهم، بل ضد الإنسانية بصفة عامة، كما برعوا في تدبير المؤامرات، ونقض المعاهدات، وتزييف التاريخ، وتحريف الدين، والافتراء على الله، وعلى كتبه، وأنبيائه ورسله، وفي سلب الأراضي من أهلها، وفي تربية ناشئتهم على الاستعلاء الكاذب فوق الخلق.

ولذلك كان خوفهم من الأمم المحيطة بهم شعورًا مسيطرًا دومًا عليهم، فعاشوا عبر التاريخ وراء القرى المحصنة، والجدران المرتفعة، والموانع والعوائق المتعددة، أو في أحياء مغلقة.

وتاريخ اليهود يؤكد صدق القرآن الكريم بهذه الإشارة الربانية الصاعدة ﴿لَا يُقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾، وقد أفاض أهل العلم في بيان طبيعة القرى المحصنة لليهود عبر التاريخ، والتي كان من أحدثها خط بارليف الذي أقامته إسرائيل بعد انتصارها في حرب ١٩٦٧، والجدار العازل الذي شرعت في إقامته سنة ٢٠٠٣ بعد أن سيطرت على أغلب الأراضي الفلسطينية، وامتلكت من السلاح

والعتاد ما لا يعلمه إلا الله، فكان ذلك أكبر دليل على الخوف المسيطر على نفوس اليهود والذي لا ينفك عنهم حتى ولو انتصروا على عدوهم.

و ينبغي الانتباه إلى أن الآية الكريمة لم تَنْفِ أن يكون اليهود من المقاتلين أو أن يمتلكوا القوة التي تمكنهم من مهاجمة غيرهم من الأمم أو أن يكونوا ذوي مكر ودهاء، فقول الله ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ فيه دلالة على وقوع القتال بين فريقين كل منهما ينشد الانتصار على الآخر ويسعى في طلب الآخر، فهذه الآية ما نزلت لتتهم اليهود بأنهم ليسوا أهل قتال ولكن لتبين الطبيعة النفسية لهم في أثناء قتالهم، وأنها طبيعة واهية تخاف الموت وتحرص على الحياة، فلا ينبغي للمسلم أن يهاجمها في أثناء القتال حتى لو كانت الغلبة في العدة والعتاد لصالحهم.

وما يلفت النظر في هذه الآية الكريمة ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾، أنه ما من قرية مُحَصَّنَةٍ إلا والجدران عامل أساسي في تحصينها، قال القرطبي في تفسير القرى المحصنة: «أي محصنة بالحيطان والدور، يظنون أنها تمنعهم منكم»، فلماذا أضاف الله كلمة (جُدُرٍ) بعد ذكر القرى المحصنة طالما أنها تشتمل الجدران؟ فقد رأينا كيف أحاطوا قراهم بخط بارليف ليفصلهم عن المصريين، ثم أحاطوها بالجدار العازل ليفصلهم عن الفلسطينيين، فالجدران هي جزء من تحصينهم الأساسي، فهل هناك إضافة جديدة من ذكر الجُدُر بعد القرى المحصنة.

فالمعنى أن اليهود حين يقاتلونكم، فإن لهم في قتالكم حالتين: الأولى أن يتحصنوا منكم بداخل قراهم التي بالغوا في تحصينها، أما الثانية فالخروج للقائكم وذلك يستلزم ترك القرى المحصنة ولما كانوا أجبن من ذلك، فقد كانت فكرة الجدار هي الأنسب لهم لكي يتمكنوا من التحرك خارج حصونهم.

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ أي اليهود ﴿جَمِيعًا﴾ أي مجتمعين، ﴿إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ﴾ أي بالخنادق والحصون ونحوها، ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أي يتسترون بها دون أن يبرزوا لكم في الصَّحَرَاءِ؛ لفرط رهبتهم منكم. وكأنهم لهذا الخوف على حياتهم لا يقاتلونكم حتى

يضعوا أكبر عددٍ ممكنٍ من الجدران ليقاتلوكم من خلفها، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ﴾ (البقرة: ٩٦)، والتنكير في حياة يدل على أي أية حياة مهما كانت تافهة.

إننا في قتالنا مع اليهود إما أن نطلبهم فيتحصنون في القرى لشدة خوفهم، وإما أن يطلبونا فيتحصنون بالجُدُر في أثناء سعيهم إلينا من فرط جبنهم وحرصهم على الحياة، قال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (الحشر: ١٣).

وهذا ما رأيناه واضحا جليا في حربهم ضد أهل غزة، فطالما أنهم وراء دباباتهم وغواصاتهم وسفنهم وطائراتهم فهم يهاجمون بضراوة، أما أن ينزلوا من خلف الجُدُر ليقاتلوا وجها لوجه وليستولوا على الأرض، فهذا هو ما لم يستطيعوا فعله لفرط جبنهم، ولفرط حرصهم على الحياة.

وليس عجيبا أبداً أن تطلب عدوك الضعيف للقتال فيتحصن بكل الوسائل خوفا منك، أما أن يطلبك العدو القوي ليقتلك وأنت الضعيف الأعزل من السلاح، فيتحصن هو منك فهذا هو العجب العجيب.

وحين تصنع إسرائيل أسلحة جديدة أو تطور أسلحتها، فهذا ليس بالغريب، ولكن الغريب الحرص على الحياة وعدم الخوف من أن يُتهموا بالجبن، فتجدهم يصممون أسلحتهم بالطريقة التي تمكّنهم من القتل دون الظهور على الإطلاق للعدو، وهذا غريب، فالمقاتل الشجاع هو الذي يطلب غيره ليقته وجها لوجه، أما أن يصفهم الله بأنهم مقاتلون ولكن جبناء يقاتلون من وراء الجُدُر، فهذا من الإعجاز الغيبي أن يصف الله اليهود بالجبن في كل أحوالهم مع المسلمين حتى وإن كانت القوة معهم.

فحتى لو ترك اليهودي قريته المحصنة فحرصه على الجدار كأشد ما يكون، فكل أحواله معنا ما بين قرية محصنة أو جدار يختبئ خلفه، ولما كانت رهبتنا في قلوبهم شديدة فالواحد منهم حريص على ألا يظهر أي جزء منه للمسلم حتى وإن كان اليهودي مدججا بالسلاح ويلبس شتى أنواع السترات الواقية، فهو يخاف من منظر

المسلم ونظرتة بل ربما ارتعد من صوته، وكم رأينا صور جنودهم المدججين بالسلاح يخبتون خلف جدران دباباتهم ومدراعاتهم خوفاً من أطفال وشباب فلسطين العزل الذين لا يملكون إلا الثقة في الله ﷻ.

والناظر إلى كافة أسلحة اليهود يجد أن هذه العقيدة الجدارية واضحة بجلاء شديد، ومن أكثر الأمثلة وضوحاً السلاح المسمى بندقية طلقة الزاوية (CORNER SHOT)، وعلى الرغم من انتشار هذا السلاح في العديد من الدول إلا أن مخترعه يهودي يُدعى Amos Golan كان من مقاتلي الجيش الإسرائيلي، وذلك بالتعاون مع شركة أسلحة أمريكية تعرف باسم Corner Shot Holdings, LLC.

و تعتبر هذه البندقية سلاح فعال ضد الأهداف القاتلة التي تترصد الجندي خلف الزوايا في الحالات التكتيكية المتغيرة التي تصادف الوحدات الخاصة وقوات الشرطة التي تعمل في المناطق المبنية.

يتميز هذا السلاح CORNER SHOT بمفصل متحرك في القسم الأمامي للسلاح وكاميرا فيديو ملونة قابلة للفصل. الجزء الأمامي يمكن تحريكه من جانب لآخر ويحتوي على المسدس وكاميرا ملونة، والجزء الخلفي يتكون من مخزن الطلقات والزناد والشاشة ومفاتيح التحكم. هذا السلاح يوفر حماية للجندي من أي نيران مباشرة وذلك بالاختفاء بجانب زاوية مبنى مثلاً أو خلف جدران الغرف والممرات من الداخل، ومن ثم توجيه الجزء الأمامي المتحرك للسلاح للجهة الأخرى حيث تقوم الكاميرا بتصوير كل ما في تلك الناحية وتسمح له بالتسديد على الهدف المراد اقتناصه بمساعدة محدّد ليزر على جسم الضحية هذا السلاح صُمّم خصيصاً للقوات الخاصة فهو فعال جداً أثناء المdahمات أو في ساحات مفتوحة أو في أماكن مكتظة بالمباني.

وكما حكم الله على أبي لهب وامرأته بالموت علي الكفر وبأن لهما العذاب الشديد فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾ (المسد: ١)

(٥ -). فما استطاعا الفكاك من حكم الله ولو بالقول الزور، فقد حكم الله علي اليهود بالجُدْر وبالجبن الذي لا فكاك منه حتى تقوم الساعة.

فقال تعالى: ﴿لَا يُقْنِلُونَكُمْ﴾ فاستخدم الله النفي بلا، وهى هنا حرف نفى دخل على الجملة الفعلية التي فعلها مضارع ﴿يُقْنِلُونَكُمْ﴾، فتنفي زمنه في الحاضر والمستقبل، أي في زمن النبي ﷺ وبعد زمنه إلى قيام الساعة، فياله من إعجاز غيبي جاء به القرآن قبل أربعة عشر قرنا من الزمان ليصف مقاتلي اليهود بالجبن وحب التخفي وراء الجدران، فصدقه واقع اليهود قديماً وحديثاً، بل وحتى قيام الساعة.

وصدق النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى حين قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَأَيْ فَاقْتُلْهُ» (رواه البخاري). وفي رواية لمسلم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولَ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغُرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ». (الغُرْقَدَ نَوْعٌ مِنْ شَجَرِ الشُّوكِ مَعْرُوفٌ بِلَادِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ).

وها هي العقيدة الجدارية لليهود التي تخشى من قتال المسلم في المستقبل فتوسعت في زراعة شجر الغرقد ليكون لهم بمثابة الجدار الواقي حين تخذلهم كل الجدران التي يختبئون خلفها والتي تنادي على المسلم ليقتل اليهودي، فلا يجدون إلا جدار الغرقد فإنه من شجرهم، نسأل الله أن يُعجل بهذا اليوم الذي يُعزُّ فيه المسلمين، ويُخزي فيه الكافرين.

قدوم أويس القرني:

ومما أخبر به ﷺ من أمور الغيب - التي أطلعه الله ﷻ عليها لتكون برهان نبوته - قدوم أويس القرني من اليمن، وقد ذكر ﷺ لأصحابه بعض صفته وأحواله، فقال ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ لَا يَدْعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمَّ لَهُ قَدْ

كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوْ الدَّرْهَمِ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

(وَفِي رِوَايَةٍ: عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: «أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟»، حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: «أَنْتَ أُوَيْسُ ابْنُ عَامِرٍ؟»، قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: «مِنْ مُرَادٍ ثَمَّ مِنْ قَرْنٍ؟»، قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: «فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟»، قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: «لَكَ وَالِدَةٌ؟»، قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثَمَّ مِنْ قَرْنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبَرَّةٍ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرُ لِي». فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

ظهور نار الحجاز من علامات الساعة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى». (رواه البخاري ومسلم).

وهذه النار خرجت في المدينة سنة (٦٥٤ هـ).

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٣ / ٢١٩): «ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٍ وخمسين وستمائة، فِيهَا كَانَ ظُهُورُ النَّارِ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ الَّتِي أَضَاءَتْ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبُصْرَى، كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ الْحَدِيثِ الْمُتَّفِقُ عَلَيْهِ، وَقَدْ بَسَطَ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْحَافِظُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ الْمُقَدِّسِيُّ فِي كِتَابِهِ "الذَّيْلُ" وَشَرْحَهُ، وَاسْتَحْضَرَهُ مِنْ كُتُبٍ كَثِيرَةٍ وَرَدَتْ مُتَوَاتِرَةً إِلَى دِمَشْقَ مِنَ الْحِجَازِ بِصِفَةِ أَمْرِ هَذِهِ النَّارِ الَّتِي شُوهِدَتْ مُعَايَنَةً، وَكَيْفِيَّةَ خُرُوجِهَا وَأَمْرِهَا».

اكتشافات علمية:

يقول علماء الجيولوجيا وعلوم الأرض أن المدينة المنورة تقع بالقرب من منطقة بركانية تسمى (حرة رهط) وتقع حرة رهط بين المدينة المنورة شمالاً، ووادي فاطمة بالقرب من مكة المكرمة جنوباً لتغطي مساحة تقدر بحوالي ٢٠,٠٠٠ كيلومتر مربع.

وفي حرة رهط يوجد أكثر من ٧٠٠ فوهة بركانية. وحرّة رهط واحدة من بين ١٢ حقلًا بركانياً ينتشر في المملكة العربية السعودية، وتحوي حرة رهط وحدها سبعمائة مخروط بركاني.

يعد الجزء الشمالي من أكثر أجزاء تلك الحرة نشاطاً والذي يقع إلى الجنوب من المدينة المنورة مباشرة بسبب أكثر من ثلاث عشرة ثورة بركانية شهدتها وتدفق للحمم خلال الخمسة آلاف سنة الماضية (بما يوازي ثورة بركانية كل أربعمئة عام) منها: ثورة بركان رهط سنة ٢١ هـ (٦٤٤ م).

سبقها عدد من الهزات الأرضية العنيفة وأصوات الانفجارات الشديدة. ثورة بركان رهط سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م). حيث ثار البركان وتدفق تيار من الحمم حجمها ٥,٠ كم مكعب من ست أقماع متراسة وتدفقت لمسافة ٢٣ كم حتى وصلت إلى مسافة ٤ كم من المدينة المنورة: وقد كان آخر ثوران. وقد كانت للحرّة ثورات سابقة.

سبقها عدد من الهزات الأرضية العنيفة وأصوات الانفجارات الشديدة، والتي شكلت الثورة البركانية الأخيرة (٦٥٤ هـ/١٢٥٦م) ستة مخاريط بركانية جديدة، ودفعت بطفوحها لمسافة زادت على ثلاثة وعشرين كيلو مترا من الشمال إلى الجنوب، وامتدت حتى الطرف الجنوبي لموقع مطار المدينة المنورة الدولي الحالي، ثم تحولت إلى الشمال.

الإعجاز الغيبي هنا هو إخبار النبي ﷺ عن حدث مستقبلي وهو خروج نار كبيرة ما بين المدينة المنورة ومكة من جهة اليمن من شدتها تضيء لها أعناق الإبل في بصرى الشام ولقد حدث ما أخبر به النبي ﷺ.

الإخبار عن ظهور الفتن وكثرة الكذب والقتل وتقارب الأسواق:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْكُذْبُ، وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ». قِيلَ: «وَمَا الْهَرْجُ؟». قَالَ: «الْقَتْلُ». (رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

في هذا الحديث الشريف إخبار عن واقعنا الذي نعيشه هذه الأيام فقد كثرت الفتن، وكثر الكذب والقتل، وكثرت الأسواق وتقاربت كثيرًا.

وتقارب الأسواق يشمل سرعة العلم فيها، وسرعة السير من سوقٍ إلى سوقٍ ومقاربة بعضها بعضًا في المكان والأسعار، فبين كل سوقين سوق، وهذا مشاهد اليوم في عالم "المولات" فكثرتُها ولا شك مما أخبر عنه النبي ﷺ.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرْمَةِ بِالنَّارِ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ). وفي رواية: «وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَاخْتِرَاقِ السَّعْفَةِ» (رواه الإمام أحمد في المسند، وقال ابن كثير: «إسناده على شرط مسلم». وصححه الألباني). (الضَّرْمَةُ: ما التهب سريعاً من الخطب. والسَّعْفُ: ورق النخل اليابس).

وقد اختلف العلماء في معنى تقارب الزمان على أقوال كثيرة، وأقوى هذه الأقوال: أن تقارب الزمان يحتمل أن يكون المراد به التقارب الحسي أو التقارب المعنوي. أما التقارب المعنوي؛ فمعناه ذهاب البركة من الوقت، وهذا قد وقع منذ عصر بعيد. وهذا القول قد اختاره القاضي عياض والنووي والحافظ ابن حجر، رحمهم الله.

ومن التقارب المعنوي أيضًا: سهولة الاتصال بين الأماكن البعيدة وسرعته مما يعتبر قد قارب الزمان، فالمسافات التي كانت تقطع قديمًا في عدة شهور صارت لا تستغرق الآن أكثر من عدة ساعات.

في الماضي كانت الرسالة حتى تصل من بلد لآخر تستغرق شهوْرًا، أي أن وسائل النقل كانت بطيئة جدًا تعتمد على الإبل والخيول، ولكننا اليوم نستطيع إرسال رسالة بسرعة الضوء! فالفاصل الزمني أصبح ضئيلاً جدًا في عمل أي شيء. حتى الأحداث والمعارك والأخبار كانت في الماضي تستغرق زمناً طويلاً لنقلها إلى البلدان الأخرى، أما اليوم فإن التلفزيون ينقل لك الحدث بفاصل زمني هو جزء من الثانية. أليس هذا تقارباً للزمان؟ فمن الذي أخبر النبي الأمي ﷺ بذلك؟!

قال الشيخ ابن باز في تعليقه على "فتح الباري": «التقارب المذكور في الحديث يُفسَّر بما وقع في هذا العصر من تقارب ما بين المدن والأقاليم وقصر المسافة بينها بسبب اختراع الطائرات والسيارات والإذاعة وما إلى ذلك، والله أعلم»^(١).

وأما التقارب الحسي؛ فمعناه: أن يقصر اليوم قصرًا حسيًا، فتمر ساعات الليل والنهار مرورًا سريعًا، وهذا لم يقع بعد، ووقوعه ليس بالأمر المستحيل، ويؤيده أن أيام الدجال ستطول حتى يكون اليوم كالسنة وكالشهر وكالجمعة في الطول، فكما أن الأيام تطول فكذلك تقصر. وذلك لاختلال نظام العالم وقرب زوال الدنيا.

وهذه الأقوال الثلاثة: "نزع البركة" و"سهولة الاتصال" و"التقارب الحسي" لا تعارض بينها، ولا مانع من حمل الحديث عليها جميعها. والله تعالى أعلم.

الإخبار عن أشياء تحققت في عصرنا:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشْوَةَ التَّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ رُوحَهَا عَلَى التَّجَارَةِ، وَقَطَعَ الْأَرْحَامَ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكَيْتَمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ» (رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ، وَقَالَ الْأَرْنَؤُوطُ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ).

(١) فتح الباري (٢/ ٥٢٢).

وفي رواية: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: تَسْلِيمُ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوُ التَّجَارَةِ حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التَّجَارَةِ، وَقَطْعُ الْأَرْحَامِ، وَفُشُوُ الْقَلَمِ، وَظُهُورُ الشَّهَادَةِ بِالزُّورِ، وَكَيْتَمَانُ شَهَادَةِ الْحَقِّ» (رواه البخاري في "الأدب المفرد"، وصححه الألباني).

(تَسْلِيمُ الْخَاصَّةِ): أي: تسليم المعارف فقط.

قال الشيخ الألباني رحمه الله: «والحديث من أعلام نبوته ﷺ؛ لَأَنَّ كُلَّ مَا فِيهِ تَحَقُّقٌ فِي عَصْرِنَا وَبِخَاصَّةِ "فُشُوُ الْقَلَمِ" أَي: الْكِتَابَةِ»^(١).

وقد تضمن الحديث السالف أمورًا أخرى كثرت في دنيا الناس، وبخاصة قطع الأرحام وشهادة الزور وكتمان الحق. كما ذكر الحديث أمرًا عجبًا حين أخبر عن فشو التجارة ومشاركة المرأة زوجها فيها، وهو ما يكثر في زماننا.

وانظر إلى تطور الكتابة واستخدام أجهزة الكمبيوتر في الكتابة والصحف والمجلات والكتب، حتى إن عدد الصفحات المطبوعة يوميًا يقدر بالملايين. فمن كان يتصور حدوث ذلك في زمن لم يكن في مكة كلها إلا بضعة رجال يتقنون الكتابة؟!!

وتأمل كيف أصبح للمرأة نصيب في الإعلام والمصانع والتدريس والمناصب السياسية والتجارية وهناك هيئات لسيدات الأعمال وغير ذلك مما لم يكن معروفًا زمن النبي ﷺ.

والتطاول في البنيان من الأشياء التي أخبر النبي ﷺ عنها وتحققت في عصرنا فقد ذكر النبي ﷺ أن من أشراط الساعة «أَنْ تَرَى الْخُفَاءَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوُلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» (رواه البخاري ومسلم). وقال ﷺ: «وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوُلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا» (رواه مسلم).

الْعَالَةُ هُمُ الْفُقَرَاءُ وَالْعَائِلُ الْفَقِيرُ وَالْعَيْلَةُ الْفَقْرُ، وَعَالَ الرَّجُلُ: أَيِ افْتَقَرَ، وَالرَّعَاءُ هُمُ الرُّعَاةُ، وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ أَهْلَ الْبَادِيَةِ وَأَشْبَاهَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ

(١) صحيح الأدب المفرد، (ص: ٤٠٢).

تُبْسَطُ هُمُ الدُّنْيَا حَتَّى يَتَبَاهَوْنَ فِي الْبُنْيَانِ، وقد تحقق هذا في زماننا، فتقدّم العلم، وكثر المال، وارتفع - بفضل الله - البنيان، ووصل الأمر بالناس إلى التفاخر فيه، وأغدى الله من فضله وجوده على بلاد كانت تشكو الفقر، فأضحت - بفضل الله - أغنى بلاد الدنيا، فتناول أهلها مع غيرهم في البنيان، وهو مصداق ما أنبأ عنه ﷺ. واليوم نرى الناس يتسابقون في بناء الأبراج العالية، ويتفاخرون بذلك، وهذه معجزة تشهد بصدق النبي الأعظم. لأنه لا يمكن لأحد أن يتنبأ بمثل هذا الأمر قبل ١٤ قرناً.

الإشارة إلى المخترعات المذهلة:

عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، وَتَرُونَ الْأُمُورَ الْعِظَامَ الَّتِي لَمْ تَكُونُوا تَرَوْنَهَا» (رواه الطبراني، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة).

في هذا الحديث إشارة إلى سكك الحديد والشوارع، التي أزالَت الجبال عن أماكنها في سائر الدنيا، وفي سائر البلاد الجبلية التي تمر فيها شرائطها، فعندما تركب القطار أو السيارة، وتمر في بعض الطرق الجبلية، تجد الجبل مشطوراً إلى شطرين، وأنت تسير على شارع معبّد بين فِلَقَتَيِ الجبل العظيم، وكذلك شقُّ الأنفاق لإنشاء خطوط السكك الحديدية، وشوارع السيارات داخل الجبل، فالجبال اليوم لم تُعدْ عائقاً أمام البشر، فكانها أُزيلت عن أماكنها.

هذا بالإضافة لما طوّره البشر اليوم من آليّات ومعدات ومتفجرات، تمكّنهم من تدمير جبل عظيم في لحظات، فيصبح كتيلاً مهياً، تقوم الجرافات بعد ذلك بنقله إلى أماكن أخرى، فيصبح كأنه لم يكن، فكل هذا يدل على صدق ما جاء به نبينا ﷺ.

وانظر إلى المخترعات الجديدة مثل الإنترنت والجوال والتلفزيون والأسلحة الفتاكة والأمراض الخطيرة كالإيدز ومرض جنون البقر وأنفلونزا الخنازير، كل هذه الأشياء لم نكن نسمع بها من قبل! فاليوم تستطيع أن تكلم صديقك وتراه من خلال جهاز الجوال وهو يبعد عنك آلاف الكيلومترات، وهي دليل على صدق النبي ﷺ، إذ

كيف له أن يعلم بأنه ستظهر أمور عجيبة وعظيمة وجديدة، لو لم يكن رسولاً من عند الله تعالى.

جنان تبوك:

عن مُعَاذِ بْنِ جَبَل رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلَاةَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا آخَرَ الصَّلَاةِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، ثُمَّ دَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتَوْهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتَى». فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقْنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَاكِ بَبْصِ شَيْءٍ مِنْ مَاءٍ فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا». قَالَا: «نَعَمْ».

فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ^(١)، ثُمَّ عَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَّتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مِنْهُمْ أَوْ قَالَ غَزِيرٍ - شَكَّ أَبُو عَلِيٍّ أَثَمًا قَالَ - حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ: «يُوشِكُ يَا مُعَاذُ أَنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَا هُنَا قَدْ مُلِيَ جِنَانًا». (رواه مسلم).

(١) يمكن أن يكون ذلك منه ﷺ بباعث البشرية، فالنبي محمد ﷺ بشر ومن صفات البشر الغضب والرضا وغيرها من الصفات، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ (الكهف: ١١٠)، وقد وردت الأحاديث في دعاء النبي ﷺ أن يجعل ما صدر منه من سبٍّ ودعاء على أحد ليس هو أهلاً لذلك أن يجعله له زكاة، وأجرًا، ورحمة، فقال ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ - أَيُّ عَبْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أَوْ شَتَمْتُهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا» (رواه مُسْلِمٌ). (وفي رواية): «أَيُّ اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يَقْرَبُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (رواه مُسْلِمٌ).

(تَبْضُ): تَسِيلُ. (الشَّرَاكِ): سَيْرُ النَّعْلِ. (وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَاكِ تَبْضُ): مَعْنَاهُ مَاءٌ قَلِيلٌ جَدًّا. (مُنْهَمِرٍ) أَي كَثِيرِ الصَّبِّ وَالْدَّفْعِ. (قَدْ مُلِيَ جَنَانًا) أَي بَسَاتَيْنَ وَعُمَرَانَا وَهُوَ جَمْعُ جَنَّةٍ.

تقع تبوك في شمال غرب السعودية محاذية لبلاد الشام من الشمال ولها ساحل على البحر الأحمر. ومنطقة تبوك منطقة صحراوية كانت قليلة المياه في عهد النبي ﷺ، ولكن بسبب التغيرات المناخية التي تأثرت بها المنطقة والكرة الأرضية بشكل عام زادت فيها نسبة هطول الامطار وأصبحت من أهم موارد المياه في المملكة العربية السعودية وأصبحت تعتبر من المناطق الزراعية وبلغت مساحة الرقعة المزروعة في عام ١٤٢٠هـ حوالي ٢٢٨٣٨٤٠ هكتار، وتركز ٧٠٪ منها حول مدينة تبوك على طريق المدينة المنورة وطريق الأردن (الملك خالد سابقاً) ويتصدر القمح المحاصيل المزروعة، ويوجد على بعد ٤٥ كم تقريباً من مدينة تبوك باتجاه الحدود الأردنية شركة تبوك للتنمية الزراعية (تادكوا) العملاقة أكبر شركة زراعية بالشرق الأوسط المتخصصة في إنتاج الفاكهة والأعلاف والحبوب والبطاطس والبصل، كما يوجد في تبوك شركة (أسترا) بمساحة ٣٥ كم ٢ التي تنتج زهور القطف (الورد الجوري، القرنفل، الليم، الأقحوان، الجرييرا، الأستر) وتصديرها إلى الأسواق المحلية فقط، وكذلك تنتج مزارع تبوك العنب والزيتون والخوخ والمشمش والحمضيات والتفاح.

الإعجاز الغيبي في الحديث:

من الواضح من خلال قراءة الحديث أن المنطقة كانت تشكو من قلة المياه في عهد النبي ﷺ لذلك منع ﷺ الصحابة من مس ماء عين تبوك حتى يأتي حتى يأتي ويدعو، لهم ولكن العجيب ما قاله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «يُوشِكُ يَا مُعَاذُ أَنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَا هُنَا قَدْ مُلِيَ جَنَانًا». وحدث ما تنبأ به النبي ﷺ فقد انتشرت المزارع الآن في تبوك وخاصة حول المدينة.

كون التحية على المعرفة:

ومن علامات الساعة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ وظهرت وما زالت منتشرة بل في ازدياد: أن يكون السلام على المعرفة، يعني ألا يسلم الإنسان إلا على من يعرفه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلَّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ، لَا يُسَلَّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ» (رواه الإمام أحمد في المسند، وصححه الألباني).

فإخبار النبي ﷺ عما يصنعه اليوم كثير من الناس، وهو تسليم المرء على خاصته من أقرباء وأصدقاء دون بقية المسلمين الذين لا يعرفهم، هذا الإخبار منه ﷺ علامة على نبوته، لأنه إخبار بغيب لا يعلمه إلا الله ﷻ أو مَنْ أطلع الله عليه.

يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا:

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا». (رواه أبو داود، وصححه الألباني). والخمر سميت بغير اسمها مثل مشروبات روحية وكونياك وفودكا وشامبانيا وويسكي وغيرها.

كاسيات عاريات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَفِسَاءُ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَخْرُجْنَ رِيحُهَا وَإِنْ رِيحُهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا». (رواه مسلم).

قال النووي رحمه الله: «هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مُعْجَزَاتِ النُّبُوَّةِ، فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ، فَأَمَّا أَصْحَابُ السِّيَاطِ فَهُمْ غُلَمَانُ وَالْي السُّرْطَةِ.

أَمَّا (الْكَاسِيَاتُ) فَفِيهِ أَوْجُهُ أَحَدُهَا: مَعْنَاهُ: كَاسِيَاتٌ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، عَارِيَاتٌ مِنْ شُكْرِهَا، وَالثَّانِي: كَاسِيَاتٌ مِنَ الثِّيَابِ، عَارِيَاتٌ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالِإِهْتِمَامِ لِاخْرَبَتِهِنَّ، وَالِاعْتِنَاءِ بِالطَّاعَاتِ. وَالثَّالِثُ: تَكْشِفُ شَيْئًا مِنْ بَدَنِهَا إِظْهَارًا لِحَمَاهَا، فَهِنَّ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ. وَالرَّابِعُ: يَلْبَسْنَ ثِيَابًا رَقَاقًا تَصِفُ مَا تَحْتَهَا، كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ فِي الْمَعْنَى.

وَأَمَّا (مَائِلَاتٌ مُيَلَّاتٌ): فَقِيلَ: زَائِغَاتٌ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا يَلْزَمُهُنَّ مِنْ حِفْظِ الْفُرُوجِ وَغَيْرِهَا، وَمُيَلَّاتٌ يُعَلَّمْنَ غَيْرَهُنَّ مِثْلَ فَعْلُهُنَّ، وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ مُتَبَخِّرَاتٌ فِي مَشِيَّتِهِنَّ، مُيَلَّاتٌ أَكْتَفِهِنَّ، وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ يَتَمَشَّطْنَ الْمِشْطَةَ الْمَيْلَاءَ، وَهِيَ مِشْطَةُ الْبُعَايَا مَعْرُوفَةٌ هُنَّ، مُيَلَّاتٌ يُمَشَّطْنَ غَيْرَهُنَّ تِلْكَ الْمِشْطَةَ، وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ إِلَى الرِّجَالِ مُيَلَّاتٌ لَهُمْ بِمَا يُبْدِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَغَيْرِهَا.

وَأَمَّا (رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ) فَمَعْنَاهُ: يُعَظَّمْنَ رُءُوسُهُنَّ بِالْخُمْرِ وَالْعَمَائِمِ وَغَيْرِهَا بِمَا يُلَفُّ عَلَى الرَّأْسِ، حَتَّى تُشَبَّهَ أَسْنِمَةُ الْإِبِلِ الْبُخْتِ، هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي تَفْسِيرِهِ، قَالَ الْمَازِرِيُّ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ يَطْمَحْنَ إِلَى الرِّجَالِ وَلَا يَغْضُضْنَ عَنْهُمْ، وَلَا يُنْكَسْنَ رُءُوسَهُنَّ.

وَاخْتَارَ الْفَاضِي أَنَّ الْمَائِلَاتِ تُمَشَّطْنَ الْمِشْطَةَ الْمَيْلَاءَ، قَالَ: وَهِيَ صَفَرُ الْغَدَائِرِ وَشَدَّهَا إِلَى فَوْقَ، وَجَمَعَهَا فِي وَسْطِ الرَّأْسِ فَتَصِيرُ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ، قَالَ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّشْبِيهِ بِأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ إِنَّهَا هُوَ لَارْتِفَاعِ الْغَدَائِرِ فَوْقَ رُءُوسُهُنَّ، وَجَمْعَ عَقَائِصِهَا هُنَاكَ، وَتُكْثِرُهَا بِمَا يُضَفِّرُهُ حَتَّى تَمِيلَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ جَوَانِبِ الرَّأْسِ، كَمَا يَمِيلُ السَّنَامُ.

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لَا يَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ) يُتَأَوَّلُ تَأْوِيلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مُحْمُولٌ عَلَى مَنْ اسْتَحَلَّتْ حَرَامًا مِنْ ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهَا بِتَحْرِيمِهِ، فَتَكُونُ كَافِرَةً مُحْلَدَةً فِي النَّارِ، لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَبَدًا. وَالثَّانِي: يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ لَا تَدْخُلُهَا أَوَّلَ الْأَمْرِ مَعَ الْفَائِزِينَ^(١).

وقد وقع ما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالآن هذا الوصف لهؤلاء النساء والفتيات وقع بكل معانيه السابقة، وأصبحت بعض النساء المسلمات كاسيات عاريات، هُنَّ وراء الموضة وتقليد الغرب، وأغضبن ربهن وخسرن أنفسهن.

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١٧/١٩٠ - ١٩١).

ابتكار السيارات:

ومما أخبر ﷺ أنه يكون قبيل الساعة، وتحقق في زماننا؛ استغناء الناس عن ركوب الدواب، التي استبدلوها بما أنتجته التقنية الحديثة من السيارات والطائرات وغيرها من وسائل الانتقال، وهو أمر حديث أشار إليه القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَخِئْلَ وَالْبَغَالِ وَالْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٨) فإذا ما خلق الله هذه الوسائل الجديدة تحققت نبوءة رسول الله ﷺ: «وَلَتُشْرِكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا» (رواه مسلم). والقِلَاصُ هي الشَّابَّةُ مِنَ الْإِبِلِ.

وذكر النبي ﷺ في حديث آخر بعض صفات المركوبات التي سيستحدثها الناس وبعض ما سيرافقها من المنكرات، فقال ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى السُّرُوجِ كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ، يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَأَسِيَّاتِ عَارِيَّاتٍ، عَلَى رُءُوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ» (رواه الإمام أحمد في المسند، وابن حبان، وذكره الألباني في "الصَّحِيحَةَ"، و"صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ").

(يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ): أي: يحضرون المساجد راكبين. (الْبُخْتِ): نوع من الجمال طوال الأعناق.

قال الألباني: «هذه السروج التي يركبها أولئك الرجال في آخر الزمان ليست سروجاً حقيقية توضع على ظهور الخيل، وإنما هي أشباه الرجال. وأنت إذا تذكرت أن (الرجال) جمع رَحْل، وأن تفسيره كما في "المصباح المنير" وغيره: "كل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير"، إذا علمت هذا يتبين لك بإذن الله أن النبي ﷺ يشير بذلك إلى هذه المركوبة التي ابتكرت في هذا العصر، ألا وهي السيارات، فإنها وثيرة وطيدة لينة كأشباه الرجال ...

في الحديث معجزة علمية غيبية أخرى غير المتعلقة بالنساء الكاسيات العاريات، ألا وهي المتعلقة برجالهن الذين يركبون السيارات وينزلون على أبواب المساجد، ولعمر الله إنها لنبوءة صادقة نشاهدها كل يوم جمعة حينما تتجمع السيارات أمام المساجد حتى ليكاد الطريق على رَحْبِهِ يضيقُ بها، ينزل منها رجالٌ ليحضروا صلاة

الجمعة، وجمهورهم لَا يَصَلُّون الصلوات الخمس، أو على الأقل، لَا يصلونها في المساجد، فكأنهم قَنَعُوا من الصلوات بصلاة الجمعة، ولذلك يتكاثرون يوم الجمعة وينزلون بسياراتهم أمام المساجد، فلا تظهر ثمرة الصلاة عليهم في معاملتهم لأزواجهم وبناتهم، فهم بحق "نساؤهم كاسيات عاريات"!

وثمة ظاهرة أخرى ينطبق عليها الحديث تمام الانطباق، ألا وهي التي نراها في تشييع الجنائز على السيارات في الآونة الأخيرة من هذا العصر، يركبها أقوام لَا خلاق لهم من المؤسرين المترفين التاركين للصلاة، حتى إذا وقفت السيارة التي تحمل الجنازة، وأدخلت المسجد للصلاة عليها، مكث أولئك المترفون أمام المسجد في سياراتهم، وقد ينزل عنها بعضهم ينتظرون الجنازة ليتابعوا تشييعها إلى قبرها^(١).

ظهور منكري السنة (القرآنيين):

ظهرت بدعة في القرن الثاني الهجري زعم أصحابها أنهم قرآنيون - والقرآن منهم بريء - وأنهم يكتفون بالقرآن كمصدر تشريعي ثابت عن الله تعالى ودعوا إلى ترك سنة النبي ﷺ وذلك لأهداف خبيثة منها إسقاط العبادات ومعظم الأحكام الشرعية التي لا تثبت إلا بالسنة إضافة إلى تحريف معاني القرآن الكريم وتفسيرها على هواهم فمن المعروف أن السنة المشرفة هي التفسير العملي للقرآن الكريم.

ولقد تصدى لهم علماء الأمة وتمّ وأد هذه البدعة الضالة في وقتها ولكن بعض الدوائر الاستعمارية قامت ببعث هذه الأفكار الضالة من جديد على أيدي دعاة مرتزقة همهم المال والشهرة ولقد جهر بعضهم بشكل واضح على الملأ برفضهم للسنة النبوية والاكتفاء بالقرآن الكريم.

وكما هو معروف فإن القرآن الكريم لا يخالف السنة النبوية الصحيحة بل إن السنة شارحة للقرآن ومكملة له وكل كلام النبي ﷺ في سياق الأحكام الشرعية هو

(١) انظر: السلسلة الصحيحة: (٦ / ٤١٥).

وَحْيٍ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِدُونِ خِلَافٍ، وَقَدْ دَلَّتْ عِدَّةُ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى حُجِّيَّةِ السَّنَةِ، وَوُجُوبِ مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِنْ ذَلِكَ الْآيَاتِ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ مُبِينٌ لِلْكِتَابِ وَشَارِحٌ لَهُ، وَأَنَّهُ يَعْلَمُ أُمَّتَهُ الْحِكْمَةَ كَمَا يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابُ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: ٦٤). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ (النحل: ٤٤). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزُكْرَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

وَقَدْ ذَهَبَ أَهْلُ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحِكْمَةِ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَذَكَرَ اللَّهُ الْكِتَابَ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَذَكَرَ الْحِكْمَةَ، فَسَمِعْتُ مَنْ أَرْضَى - مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ - يَقُولُ: الْحِكْمَةُ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهَذَا يَشْبَهُ مَا قَالَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لِأَنَّ الْقُرْآنَ ذُكِرَ، وَأُتْبِعَتْهُ الْحِكْمَةُ، وَذَكَرَ اللَّهُ مَنَّهُ عَلَى خَلْقِهِ بِتَعْلِيمِهِمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، فَلَمْ يَجْزِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ يُقَالَ الْحِكْمَةُ هُنَا إِلَّا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَلِكَ أَنَّهَا مَقْرُونَةٌ بِالْكِتَابِ، وَأَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ طَاعَةَ رَسُولِهِ ﷺ، وَحَتَمَ عَلَى النَّاسِ اتِّبَاعَ أَمْرِهِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِقَوْلِي: فَرَضَ. إِلَّا لِكِتَابِ اللَّهِ ثُمَّ سُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ: لَمَّا وَصَفْنَا مِنْ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْإِبْرَاهِيمَ بِرَسُولِهِ مَقْرُونًا بِالْإِبْرَاهِيمِ بِهِ...» (١).

فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَظْهَرَ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ مُسْلِمٌ وَيَنْكُرُ سُنَّةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ ﷻ لِلنَّاسِ كَافَّةً وَأَمَرَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ (٢).

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ ﷻ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ قَدْ أَخْبَرَنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرِينَ لِلْسَّنَةِ قَبْلَ أَكْثَرِ مِنْ ١٤٠٠ سَنَةً وَأَكَّدَ لَنَا أَنَّهُمْ سَوْفَ يَظْهَرُونَ مُسْتَقْبَلًا، أَكَّدَ

(١) الرسالة (ص ٧٨).

(٢) انظر كتاب "كشف شبهات أعداء السنة"، للمؤلف.

ذلك في وقت كان الصحابة رضي الله عنهم ملتفون حوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ظهرت دعوته وسادت في جزيرة العرب، وانتصر على الوثنية.

ولقد حدث ما أخبر به هذا النبي الصادق صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته كإشارة على صدقه وتثبيتاً للمؤمنين وفضحاً لهؤلاء بل إن عبارتهم التي يروجون بها إلى معتقدهم هي نفسها التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ الْكِنْدِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَمَّا أَرِيكَتِهِ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي، فَيَقُولُ: «بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ». أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ». (رواه أبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني).

إن الإعجاز الغيبي هنا هو الإخبار عن ظهور طائفة ممن يزعمون أنهم من المسلمين وينكرون السنة أو ما خالف منها القرآن بزعمهم، والإخبار بنص حجتهم وهي تركهم كل ما يخالف القرآن الكريم بزعمهم، فمن أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا النبأ المستقبلي؟؟!!